حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

دورية علمية محكّمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل
في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية

السارد والمخاطب
في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء
دراسة في الباب السابع

د. عبدالله الغزالي
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الكويت

الرسالة ١٧٣
الحولية الثانية والعشرون

١٤٢١ - ١٤٢٢هـ
٢٠٠٠ - ٢٠٠١م

مجلس النشر العلمي
جامعة الكويت
تأسس سنة ١٩٨٦

مجلة كلية الآداب والتربية (١٩٧٢-١٩٧٩)، مجلة العلوم الاجتماعية ١٩٧٣، مجلة الكويت للعلوم والهندسة ١٩٧٤، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥، لجنة التأليف والتعريب والنشر ١٩٧٦، مجلة الحقوق ١٩٧٧، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٨٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ١٩٨١، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٨٣، المجلة التربوية ١٩٨٣، مجلة الأسس والتطبيقات الطبية ١٩٨٨، المجلة العربية للعلوم الإدارية ١٩٩١

حوليات
الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت

دورية علمية محكّمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية:

الآداب:

اللغة العربية وآدابها، اللغة الانجليزية وآدابها، التاريخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعية:

الاجتماع، الجغرافيا، علم النفس، العلوم السياسية.

الحولية الثانية والعشرون

الرسالة الثالثة والسبعون بعد المئة

١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م

هيئة التحرير

د. نسيمة راشد الغيث

رئيسة التحرير

- **أ. د. سمير محمد حسين**
  (قسم الإعلام).
- **د. عبدالرضا علي أسيري**
  (قسم العلوم السياسية).
- **د. عثمان حمود الخضر**
  (قسم علم النفس).
- **د. فاطمة راشد الراجحي**
  (قسم اللغة العربية وآدابها).
- **د. فهد عبدالرحمن الناصر**
  (قسم الاجتماع).
- **د. فيصل عبدالله الكندري**
  (قسم التاريخ).
- **د. ليلى حكمت المالح**
  (قسم اللغة الإنكليزية وآدابها).
- **أ. د. ميشيل حنا متياس**
  (قسم الفلسفة).

- **مديرة التحرير: هيفاء حمد المشاري**

الهيئة الاستشارية

- **أ. د. أحمد عتمان**
  (قسم الدراسات اليونانية واللاتينية – جامعة القاهرة)
- **أ. د. إسماعيل صبري مقلد**
  (قسم العلوم السياسية – جامعة أسيوط)
- **أ. د. جيهان رشتي**
  (قسم الإذاعة والتلفزيون – جامعة القاهرة)
- **أ. د. حياة ناصر الحجي**
  (قسم التاريخ – جامعة الكويت)
- **أ. د. عبدالعزيز حمودة**
  (قسم اللغة الإنجليزية وآدابها – جامعة القاهرة)
- **أ. د. عز الدين إسماعيل**
  (قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة عين شمس)
- **أ. د. محمد غانم الرميحي**
  (قسم الاجتماع – جامعة الكويت)
- **أ. د. محمد محمود إبراهيم الديب**
  (قسم الجغرافيا – جامعة عين شمس)
- **أ. د. محمود رجب**
  (قسم الفلسفة – جامعة القاهرة)
- **أ. د. محمود سيد أبو النيل**
  (قسم علم النفس – جامعة عين شمس)
- **أ. د. محمود فهمي حجازي**
  (قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة القاهرة)

قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

١ – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية دورية علمية محكمة تنشر مجموعة من الرسائل في الموضوعات المندرجة تحت اختصاص الأقسام العلمية بكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية.

٢ – تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصيلة باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا تتجاوز صفحات أي بحث ٢٠٠ صفحة ولا تقل عن ٦٠ صفحة.

٣ – تقدم البحوث مطبوعة على مسافتين من ثلاث نسخ على ورق مقاس ٢١ × ٢٩سم (A4) وعلى وجه واحد فقط وترقم جميع الصفحات بما في ذلك الجداول والصور التوضيحية، ويراعى التصحيح الدقيق في النسخ جميعها. مع أهمية إرسال القرص المرن الخاص بالبحث.

٤ – يرفق الباحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ٢٠٠ «مئتي» كلمة يتصدر البحث.

٥ – ترسم الخرائط والأشكال والرسوم بالحبر الصيني على ورق «شفاف» لتكون صالحة للطباعة. أما الصور الفوتوغرافية فتطبع على ورق لماع، وإذا كانت ملونة فلا بد من تقديم الشريحة الأصلية.

٦ – يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية، والألفاظ والعبارات التي يراد طبعها ببنط ثقيل.

٧ – تكتب في قائمة المصادر التفاصيل المتعلقة بكل مصنف من حيث اسم المؤلف كاملاً مبتدأ باللقب أو الاسم الأخير، وعنوان المصنف تحت خط متعرج وذكر الأجزاء أو المجلدات واسم المحقق أو المترجم ورقم الطبعة، ومكان النشر ثم اسم المطبعة أو دار النشر، ثم سنة النشر، ويتبع في قائمة المصادر النظام الآتي:

– الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

– تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، مصر، دار المعارف، د.ت.

– جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر، ط٢، دار المعارف بمصر. د.ت.

- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٨ - تثبت الهوامش على النحو التالي:

يذكر لقب المؤلف ثم الجزء ثم رقم الصفحة، وإذا كان للمؤلف أكثر من مصنف في البحث فيذكر لقب المؤلف ثم عنوان المصنف، ثم يليه الجزء، ثم رقم الصفحة، ويتبع في الحواشي النظام الآتي:

- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٩١.
- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢، ص١٢٠.
- الشايب، ص ٤٠.

٩ - توضع أرقام التوثيق بين قوسين وترتب متسلسلة حتى نهاية البحث، فإذا انتهت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى عند الرقم (٦) يبدأ التوثيق في الصفحة الثانية بالرقم (٧) وهكذا.

١٠ - أصول البحوث التي تصل للحوليات لا ترد ولا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

١١ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها، كما لا يجوز نشر البحوث في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في الحوليات إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من رئيس تحرير الحوليات.

١٢ - تمنح إدارة الحوليات لمؤلف كل بحث منشور ثلاثين نسخة مجانية من بحثه.

١٣ - ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيسة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية
رمز بريدي: 72452
الكويت

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-adab
http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AFA/
E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw

الرسالة: ١٧٣

السارد والمخاطب في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

دراسة في الباب السابع

د. عبدالله الغزالي

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الكويت

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الحولية الثانية والعشرون – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

المؤلف:

د.عبدالله محمد الغزالي

مدرس بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الكويت.

البحوث المنشورة:

- نهاية الأرب في شرح لامية العرب، للشنفري بن مالك الأزدي – لمؤلفه عطاء الله بن أحمد المصري الأزهري – دراسة وتحقيق – حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية عشرة، الرسالة الرابعة والسبعون ١٩٩١ – ١٩٩٢.
- أزهار العروش في أخبار العروش في أخبار الحبوش – لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – دراسة وتحقيق – مركز المخطوطات والتراث والوثائق – الكويت – أكتوبر ١٩٩٥م.
- أبو بكر السقاف وتائيته. مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة. المجلد ٤٠، الجزء الثاني – رجب ١٤١٧هـ/ نوفمبر ١٩٩٦م.
- العقود في التراث العباسي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. الحولية العشرون، الرسالة ١٣٨. ١٩٩٩ – ٢٠٠٠.

المحتـوى

الملخص ١٠
أهداف البحث ١١
المقدمة ١٢
الحياة السياسية في عصر ابن عربشاه ١٤
حياة ابن عربشاه ١٨
كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» البنى السردية: الكبرى والصغرى ٢٢
أ – الحكاية الإطارية للكتاب/ البنية السَّردية الكبرى ٢٣
ب – الحكاية الإطارية للباب/ البنية السَردية الصغرى ٢٤
الباب السابع: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال ٢٥
الحكاية الفرعية الأولى ٢٨
الحكاية الفرعية الثانية ٢٩
الحكاية الفرعية الثالثة ٣٣
الحكاية الفرعية الرابعة ٣٤
الحكاية الفرعية الخامسة ٣٥
الحكاية الفرعية السادسة ٣٧
الحكاية الفرعية السابعة ٣٨
الحكاية: الأصل والمضمون ٤٠
السارد والمخاطَب: ٤٦
أ – ملاحظات على السّارد ٤٩
ب – ملاحظات على المخاطَب ٥١
اللغة والأسلوب السَّردي ٥٣
الوسائل والأدوات الفنية لاستمرار السَّرد ٥٧
الخلاصة ٦١
حواشي البحث ومصادره ومراجعه ٦٤
الملاحق: الجداول والصور ٧١

الملخص

ظهرت الحكاية الخرافية على لسان الحيوان قديماً وارتبطت بالأساطير. ثم تحولت فيما بعد من شكلها الشفاهي الشعبي إلى شكلها الكتابي الرمزي، واهتم بها الأدباء والفلاسفة والشعراء فوضعت كثيراً من الحكايات الخرافية ذات الأبعاد الرمزية على لسان الحيوان. ولقد عرف العرب بالجاهلية هذه الحكايات، كما انتشرت بالعصر الإسلامي. ويعد عبدالله بن المقفع المتوفي سنة ١٤٢ هـ/ ٧٥٩م أول من كتب الحكايات الرمزية على لسان الحيوان في الأدب العربي عندما وضع كتابة كليلة ودمنة ذي الأبعاد الرمزية السياسية خوفاً من بطش أبي جعفر المنصور.

ويأتي كتاب: فاكهة الخلفاء لابن عرب شاه كآخر كتاب في سلسلة طويلة من الكتابات الرمزية على لسان الحيوان حيث وضعه سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م في القاهرة بعد أن خاف بطش تيمورلنك. وقد تناولت الدراسة الحياة السياسية في عصر ابن عرب شاه المملوكي، وحياته بدمشق ثم خروجه هارباً من دمشق إلى سمرقند بعد غزو تيمورلنك لها وإحراق جامعها وقتل أهلها. وينتهي بابن عرب شاه المطاف في القاهرة حيث وضع كتابه المذكور. كما تناولت الدراسة أيضاً البنى السردية الكبرى والصغرى للكتاب: فاكهة الخلفاء، ثم تناولت بالتفصيل الباب السابع بحكاياته السبع. ثم تم الكشف عن مضمون حكاية الباب السابع وهي الصراع بين ملك الأفيال وملك الأسود وهو رمز الصراع بين تيمور لنك والحاكم العربي المسلم، ثم فصلت الدراسة الملاحظات المهمة على السارد والمخاطب، وتناولت اللغة والأسلوب السردي في الباب السابع والوسائل والأدوات الفنية لاستمرار السرد، ثم انتهت بخلاصة للدراسة وقائمة الهوامش والمراجع.

أهداف البحث

لقد اهتم الباحثون في الآونة الأخيرة بدراسة السَّرد في تراثنا العربي الإسلامي، في محاولةٍ للكشف عن سماتٍ جديدةٍ في هذا التراث، ويأتي هذا البحث محاولةً بسيطةً لمعرفة جزئيةِ البناء السردي في الحكايات الخرافية على لسان الحيوان، وقد حدَّدتُ كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لأحمد بن محمد بن عربشاه للدراسة، وسأتناول الباب السابع منه بالتحديد نموذجاً، وهو بعنوان «في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال» في محاولة لدراسة السّارد والمخاطَب/ الراوي والمروي له، ومستوياتِهما وحقيقتهما، الأمر الذي يستوجب دراسة الحياة السياسية في زمن ابن عربشاه، ودراسة حياته ورحلاته وهروبه من موطنه وأسباب ذلك، وعلاقة ذلك كله بموضوع كتابه. ثم دراسة مضمون الكتاب «فاكهة الخلفاء» بشكل عام، مع التركيز على الحكاية الإطارية للباب السابع، وإلقاء الضوء على الحكايات الفرعية السبع في الباب، لتعرف مستويات السّارد والمخاطَب، والطبيعة الفنية السَّردية لهما، وكشف الرموز الحيوانية لمعرفة مَن وراءها. هذا من ناحية، ومعرفة المضامين السياسية وغيرها في هذه الحكايات من ناحية أخرى، وسأحاول الكشف أيضاً عن أصل الحكاية الإطارية للباب السابع، وهل هي من وضع ابن عربشاه أم أخذها من غيره؟ كما سأحاول الكشف عن تلك الرموز الحيوانية الكثيرة وفكَّها لمعرفة مدلولاتها الرمزية، وسأُبيِّن لغة ابن عربشاه وأسلوبه في الباب السابع، الذي لم يختلف عن بقية أبواب الكتاب، ثم سأفحص نص الباب لمعرفة وسائل السَّرد وأدواته التي استخدمها ابن عربشاه، وسأُقدِّم أخيراً خلاصة لهذه الدراسة.

مقدمة

ظهرت الخرافة أو الحكاية على لسان الحيوانات عند الشعوب قبل الميلاد، وارتبطت ارتباطا مباشرا بالأسطورة، ثم تطورت عنها لتصبح شكلاً مستقلاً، من الأشكال الأدبية، وبعد أن تحولت تلك الحكايات الخرافية من المستوى العامي الشعبي المروى شفاهاً إلى مستوى كتابي رمزي انتشرت انتشاراً كبيراً بين شعوب الأرض المختلفة، ولا نعرف على وجه الدقة أي الشعوب كان لها السبق في ذلك التحول؛ إذ يرى بعض الدارسين أن المصريين القدماء أول من كتب الحكايات الرمزية على لسان الحيوان، فيما يرى آخرون أن اليونان أول من فعل ذلك، ويرى فريقٌ ثالث أن الهنود كان لهم فضل السبق في ذلك.

وعلى أية حال فلقد اهتم كثير من كبار الفلاسفة والكُتّاب والأدباء والشعراء اليونان والهنود وغيرهم بكتابة الحكايات الرمزية على لسان الحيوان التي تحمل في دلالاتها الرمزية كثيراً من المضامين السياسية والدينية، ولم يكن العرب في الجاهلية بعيدين عن ذلك كثيرا، فقد عرفوا هذا الشكل الأدبي، وظهر كثير من الحكايات الرمزية على لسان الحيوانات والطيور في الشعر الجاهلي[١]، وبعد مجيء الإسلام استمر ظهور هذه الحكايات عند العرب والمسلمين، كما ظهر كثير من الحكايات المتعلقة بالحيوان والطير والدواب والحشرات والأسماك في القرآن الكريم، لأهدافٍ دينيةٍ أخلاقيةٍ تربويةٍ تتعلق بتهذيب النفس والوعظ والعبرة، كما جاءت سُوَرٌ قرآنيةٌ تحمل أسماء مثل: البقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والفيل، كما ظهرت تلك الأسماء وغيرها في الحديث النبوي الشريف للأسباب ذاتها.

ولما كثرت الأحزاب واختلفت الآراء حول المسائل المتعلقة بالحُكْمِ والسلطة خاف كثير من الأدباء ورجال السياسة في العصور الإسلامية من البوح بأفكارهم وآرائهم السياسية والدينية؛ فجنح بعضهم إلى الكتابة الرمزية على لسان الحيوان والطير منها خاصة، بعيداً عن أعين السلطة، وهروباً من بطشهم، وخوفاً من عقابهم، ويُعَدُّ عبدالله بن المقفع المتوفى سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م مترجم كتابِ «كليلة ودمنة» «أول من نقل هذا الفن القصصي من مرحلته الشفاهية (الأدب الشعبي) عند العرب إلى الأدب المدوَّن (الكتابي) في أول خطوة من نوعها في الأدب العربي القديم»[٢]. كما ألف إخوان الصفا رسالة بعنوان «رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان».

ثم حاكى كتابَ «كليلة ودمنة» كثيرون؛ منهم من حاكاه شعراً مثل أبان بن عبدالحميد اللاحقي المتوفى سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م، ومحمد بن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤هـ/١١١١م، الذي نظم كتاب «كليلة ودمنة» شعراً بعنوان: «تاريخ الفطنة في نظم كليلة ودمنة»، وله أيضاً: «الصادح والباغم» وهي أرجوزة[٣]، كما نظمها الأسعد بن مهذب بن ممَّاتي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م[٤] وغيرهما[٥]، وهناك من حاكى كتاب «كليلة ودمنة» نثراً وهم كثيرون أيضاً، ومن أبرزهم محمد بن أبي القاسم بن علي القرشي المالكي، المعروف بابن ظفر، المتوفى سنة ٥٦٨هـ/١٢٠٢م، مؤلف كتاب «سلوان المطاع في عدوان الطباع»[٦]، وعبدالسلام بن أحمد بن غانم المقدسي، المعروف بعزالدين بن عبدالسلام، المتوفى سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، صاحب كتاب «كشف الأسرار عن الحِكَم المودعة في الطيور والأزهار»[٧]، وأحمد بن محمد ابن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م صاحب كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء»[٨]، موضوع البحث.

وهكذا يتضح أن كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لم يأتِ من فراغ بل هو جزءٌ، وربما الأخير، في سلسلةٍ طويلةٍ من الكتابات التي جاءت على لسان الحيوان والطير في الأدب العربي.

لقد ألَّف ابن عربشاه كتابه «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» في صفر سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م[٩]، ويأتي تحديد حاجي خليفة لهذا التاريخ في غاية الأهمية، حيث يفتح هذا التحديد آفاقاً واسعةً لدراسة هذا الكتاب ومعرفة حقيقة السّارد وهويته وظروفه السياسية التي دفعته لوضع هذا الكتاب، كما يساعد على معرفة حقيقة المخاطَب الذي وجهت إليه تلك الحكايات الرمزية، ويحيل التحديد أيضاً إلى الأصل التاريخي لتلك الحكايات الرمزية التي جاءت فيه على لسان الحيوانات والطيور كما سيتضح.

وحتى تتم لنا معرفة حقيقة السارد والمخاطَب والحكايات في «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لابن عربشاه لا بد من معرفة أمرين: الأول: الحياة السياسية في عصر ابن عربشاه والقوى المتصارعة والقوى المسيطرة، وضع العرب والمسلمين ولا سيما في مصر والشام والعدل والظلم وغيرها من الموضوعات، والثاني: حياة ابن عربشاه والصعاب التي واجهته، بيئته وهروبه من بلاده وسياحته واتصاله بالسلاطين ومدى إحساسه بغياب العدل وانتشار الظلم.

الحياة السياسية في عصر ابن عربشاه

لقد أَثَّرَتْ أطماع التتار في مجريات الحياة السياسية في مصر والشام وبقية البلاد العربية تأثيراً كبيراً، ولا سيما في العصر المملوكي، وظهرت أطماع التتار في الاستيلاء على البلاد العربية الإسلامية بشكل واضح في غزو التتار لبغداد وتحطيم الخلافة العباسية، وما صاحب ذلك من حرق بغداد وتدمير مكتباتها وآثارها وقتل أهلها وتعذيبهم على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ.

وتوجَّه التتار بعد ذلك إلى حلب ودمشق، غير أن السلطان المملوكي سيف الدين قطز استطاع هزيمتهم هزيمةً نكراء في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، ثم حاول التتار الاستيلاء بعد ذلك على بعض المدن الشامية، لكن السلطان المملوكي الظاهربيبرس استطاع القضاء عليهم وهزيمتهم وأسر رجالهم. وحاول التتار الاستيلاء على حلب في زمن السلطان المملوكي المنصور قلاوون، إلا أنهم هزموا شر هزيمة قرب حمص أيضاً، ثم استطاع التتار بقيادة محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المعروف بغازان دخول دمشق وهزيمة السلطان المملوكي ناصر الدين محمد ابن قلاوون سنة ٦٩٩هـ، لكنه سرعان ما ثأر لنفسه وهزم التتار سنة ٧٠٢هـ، وهكذا تظل الأطماع التتارية وحب الاستيلاء على الشام والثأر لأنفسهم متتابعة طوال سنوات على الرغم من دخولهم في الإسلام حتى نصل إلى سنة ٨٠٣هـ، حيث غزا التتار حلب ثم دمشق بزعامة تيمورلنك، وأحدثوا فيها الخراب والدمار والقتل والحرق والظلم، ولم يتجاوز محمد بن أحمد بن عربشاه اثني عشر عاماً.

ولقد وصف ما أحدثه تيمورلنك من خراب ودمار وحرق وقتل وفحش كثيرون، لعل أشهرَهم محمد بن محمد بن الشحنة الحلبي المتوفى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م في كتابه «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر»[١٠]، ويوسف بن تَغْزي بردي، أبو المحاسن المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م في كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»[١١]، ومحمد بن أحمد بن إياس المتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م في كتابه «بدائع الزهور في دقائق الدهور»[١٢]، ومحمد بن أحمد بن عربشاه في كتابه «عجائب المقدور في نوائب تيمور».

لقد ظلت جرائم تيمورلنك وجنده في حلب ودمشق عالقةً في ذهن ابن عربشاه منذ سنة ٨٠٣هـ حتى سنة ٨٤٠هـ، حيث وضع كتابه «عجائب المقدور في نوائب تيمور»[١٣]، فوصف مشاهداته الشخصية لتلك الجرائم البشعة، وسجلها بأمانة ودقة كشاهد؛ حيث يقول في مقدمة كتابه: «أردت أن أذكر ما رأيته، وأقصُّ في ذلك ما رويته»[١٤].

فبعد وصول تيمورلنك وجنده إلى بهنسا وملطية وقلعة الروم ودخوله عين تاب أراد التوجه إلى حلب، فأرسل إلى النواب رسالةً يدعو فيها أهل حلب إلى الاستسلام والطاعة له، فلما وصلت الرسالة إلى نائب حلب أخذ بمشاورة النواب والأمراء «فقال الملك المؤيد شيخ الخاصكي...: اعلموا أن أمركم خطر، وعدوكم داعر عسر، داهية دهياء، ومعضلة عضلاء، جنده ثقيل، وفكره وبيل، ومصابه عريض طويل، فخذوا حِذْرَكم، وأعمِلوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم، فإن صائب الأفكار يفعل ما لا يفعله البتار، ومشاورة الأذكياء مقدحة الفكر، ومباحثة العلماء مقدمة النظر»[١٥]... «فقال تمرداش وهو نائب المدينة: ما هذه الآراء مكينة، ولا هذه الأفكار رضينة، بل المناضلة خيرٌ من المطاولة...»[١٦].

ثم إن تيمورلنك وصل حلب من عين تاب سريعاً، ودخلها وهزم العسكر الحلبي، وأحدث فيها المناكر والقتل «فانسدت الأبواب بالقتلى، ولم يمكن الدخول منها أصلاً، فتشتتوا في البلاد، وتفرقوا في المهامه والأطواد، وكسر باب أنطاكية المماليك الأغتام، وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام. فوصل فلهم إلى دمشق في أبشع صورة، وحكوا في كيفية هذه الوقعة أشنع سيرة، وصعد النواب إلى قلعة حلب وتحصنوا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فاستأمنوا.. ثم إنه لم يكتفِ بما أزهقه من النفوس حتى بنى الميادين من الرؤوس...»[١٧]. كان ذلك في ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ أما في ربيع الثاني من نفس العام فقد توجه تيمورلنك إلى دمشق[١٨] وصوّر عربشاه ما فعله تيمورلنك وجنده بدمشق وأهلها أصدق تصوير: «أمر بتعذيب هؤلاء الأعيان فعذبوهم بالماء والملح وسففوهم الرماد والكلس وكَوَوْهم بالنار... ثم أطلق عنان الإذن لعساكره بالنهب العام والسبي الطام والفتك والقتل والإحراق، والتقييد بالأَسْرِ على الإطلاق، فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم، وانقضوا على الناس

بالتعذيب والتثريب والتخريب انقضاض النجوم، واهتزوا وربوا، وفتكوا وسبوا، وصالوا على المسلمين وأهل الذمم صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم، وفعلوا ما لا يليق فعله، ولا يجمل ذكره ونقله، وأسروا المخدّرات، وكشفوا غطاء المستترات، واستنزلوا شموس الخدور من أفلاك القصور، وبدور الجمال من سماء الدلال... وفرقوا بين الوالدة وولدها، والروح وجسدها، وذهلت كل مرضعة عما أرضعت، وجازوا كل نفس بما صنعت، وبغير ما صنعت، وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه، وذل العزيز والكريم، وهان الخطير والجسيم، وطم البلاء وعم القضاء، وطاشت الحلوم، وتبلدت الفهوم، وتراكمت غيوم الغموم، فأقسم بالله لد قكانت تلك الأيام، علامة من علامات يوم القيامة، وأسفرت تلك الساعة عن أشراط الساعة، واستمر هذا النهب العام نحواً من ثلاثة أيام. ثم إنهم لما أنهوا العيث والعبث، وقضوا في حج فسادهم التفث، وأتموه بالفسق والجدال والرفث، وطافوا وسعوا في المنكرات، ورموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات، وأفاضوا ما أراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الإحصار، رملوا في أشواط الإحراق فأرسلوا في حرم المدينة شواظاً من نار. وكان فيهم من روافض الخراسانية، فأطلقوا النار في جامع بني أمية، فنشبت النار بلهيبها، وساعدت الريح بهبوبها، فتساوقا في محو الآثار ريحاً وناراً، واستمر على ذلك بإذن الله تعالى ليلاً ونهاراً، فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس، وانحى بلسان النار ما سطّر على لوح وجود المدينة من الدروس، فأمست تلك المغاني لا يُسمع فيها ولا الهمس وأصبحت (حصيداً كأن لم تغن بالأمس)...»[١٩].

أما في القاهرة فقد كان السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق في العاشرة من عمره تقريباً، بينما كان الأمراء يختلفون في إدارة أحوال مصر، ومع ذلك فقد خرج الجيش المصري إلى الشام للدفاع عن حلب ودمشق وغيرها من المدن الشامية واشتبك مع جيوش تيمورلنك، غير أن الاختلاف بالرأي وغياب السلطان المملوكي أدى إلى انسحاب الجيش المصري وعدم مقدرته على صد جيوش تيمورلنك. وهذا ابن عربشاه يصوّر حال مصر بقوله: «فأما مصر فما دونها من البلاد فإنها تخبطت، وانحلت قواها، وأيديها تربَّطَتْ، وعدمت القرار، واستعدت للفرار...»[٢٠].

وهكذا تتضح طبيعة الحياة السياسية في عصر ابن عربشاه الذي حدثت أمام عينيه كل تلك الجرائم اللاأخلاقية البشعة، وقد بدا التتار بقيادة تيمورلنك في أَوْجِ قوتهم فيما بدا العرب والمسلمون في البلاد الشامية، ولا سيما دمشق، في حالةٍ من الضعف والانكسار، وقد انتشر الظلم في بلادهم، وغاب العدل، وتحطمت القيم الإنسانية، وضاعت الأخلاق، وانتشر الفساد والخوف والخراب والدمار والحرق والقتل والتعذيب، وهتك الأعراض تحت سيطرة التتار الذين أصبحت كلمتهم هي العليا وكلمة العرب والمسلمين هي السفلى، ولا شك أن ذلك كله سيساعد فيما بعد على الكشف عن هوية السّارد وهوية المخاطَب، ودلالة تلك الحكايات الرمزية التي جاءت على لسان الحيوان والطير في «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء».

حياة ابن عربشاه

إن طبيعة الحياة التي عاشها ابن عربشاه بظروفها السياسية والمرارة التي صاحبت تلك الحياة، والخوف الشديد الذي انتابه وهو يشاهد بأم عينيه ويسمع بأذنيه الجرائم البشعة التي اقترفها تيمورلنك وجنوده بدمشق وأهل دمشق، فضلاً عن بقية المدن الأخرى، ساعدت على تكوين إنسان يوجس في نفسه خيفةً، ويحتاط كثيراً فيما يقول وفيما يكتب، إذ لم تزل تلك القوى الظالمة جاثمة على صدر الأمة العربية والإسلامية، وقد غاب عنها العدل والحكمة والعقل.

وفي ظل هذه الظروف تنشط الترجمات والمؤلفات الرمزية على لسان الحيوان والطير، فإذا كان عبدالله بن المقفع قد خاف سطوة المنصور فإن ابن عربشاه قد خاف سطوة تيرمور لنك فوضع كتابه «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء».

وقد مر ابن عربشاه في حياته بمراحل كان لكل منها أثرها في تكوينه الثقافي والفكري والنفسي، كما كانت دافعاً وراء تأليف كتبه ومن بينها كتابه «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء».

المرحلة الأولى: من ٧٩١هـ/١٣٨٩م إلى ٨٠٣هـ/١٤٠٠م

ولد أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عربشاه، الدمشقي الأصل، الرومي، الحنفي، العجمي، شهاب الدين، أبو العباس، بدمشق ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م[٢١] وبدمشق نشأ نشأته الأولى، وقرأ القرآن على الشيخ الزين عمر بن اللبان المقرئ[٢٢]، وفي هذه المرحلة المبكرة من عمر ابن عربشاه غزا تيمور لنك دمشق، ونشر الظلم، وصادر العدل، وعاث في الأرض فساداً هو وجنده، وابن عربشاه لم يزل في الثانية عشرة من عمره وذلك سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وارتسمت في ذاكرة ابن عربشاه الصغير كل هذه الفظائع والجرائم البشعة المخيفة التي اقترفها تيمور لنك وجنده بدمشق وأهلها، وحفظت ذاكرة ابن عربشاه هذه الصور المخيفة عبر السنين لتشكل له هاجساً مخيفاً أملى عليه أسباب الحيطة والحذر، ودفعته وأهله إلى الخروج من بطش تيمورلنك في دمشق إلى أرضٍ غيرها.

المرحلة الثانية: من ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م إلى ٨١٣هـ/ ١٤١٠م

وأمام مشاهد الرعب والقتل والحرق هرب ابن عربشاه مع والدته وإخوته وابن أخته إبراهيم بن عبدالرحمن بن حولان إلى سمرقند وبلاد الخطا وما وراء النهر، وذلك سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وتتلمذ على يد أشهر العلماء هناك كالسيد محمد الجرجاني وابن الجزري وعصام الدين بن عبدالملك وأحمد الترمذي وأحمد القعيد ومحمد البخاري وحسام الدين الواعظ، فتعلم اللغة الفارسية والخط المغولي والنحو العربي، ثم توجه إلى بلاد المغول ثم خوارزم، ثم إلى بلاد الدشت، حيث أقام بها أربع سنوات أخذ فيها الفقه وأصول الفقه على يد الشيخ محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردي(٢٣).

ويشير محمد بن عبدالرحمن السخاوي نقلاً عمن ترجم لابن عربشاه بأنه «كان ممن أُسر مع اللنك ونُقل إلى سمرقند، ثم خرج منها في سنة إحدى عشرة، وجال ببلاد الشرق ورجع إلى دمشق في سنة خمس وعشرين...»(٢٤).

ويقول كحالةُ عن سبب تأليف ابن عربشاه لكتاب «عجائب المقدور في نوائب تيمور: إنه قد أخذ أسيراً في غزو تيمور لنك للشام، وأرسل إلى سمرقند...»(٢٥) وإن صحت هذه الرواية فإن ذلك الأسر بلا شك قد أثر كثيراً في نفسية ابن عربشاه التي تحملت كل آلام الأسر والإكراه على مغادرة الوطن دمشق إلى أرضٍ لا يعرفها، وسواء كان خروج ابن عربشاه من دمشق هروباً من بطش تيمور لنك وجنده، أم الوقوع في الأسرثم النقل إلى سمرنقد، فإن ذلك قد رسّخ في ذهن ذلك الصغير انتشار الظلم وغياب العدل في سلطة الرعب والخوف والدمار التي يقودها تيمورلنك. وفي كل الأحوال فإن ابن عربشاه قد تَكَوَّنَ علمياً في هذه الفترة بعد أن درس على يد كبار العلماء في تلك البلاد، وقد تأهل ليكون كاتباً رسمياً ومؤلفاً ذا شأن.

المرحلة الثالثة: من ٨١٣هـ/ ١٤١٠م إلى ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م

ويبدو أن الشاب أحمد بن محمد بن عربشاه الذي حصل تعليماً راقياً، وهو لم يزل في الثانية والعشرين من عمره بدأ يتطلع إلى الخروج من بلاد سمرقند وما جاورها، ولا سيما أن تيمور لنك قد مات سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، فتوجه ابن عربشاه إلى بلاد الروم حيث مملكةُ ابن عثمان، وباشر عند الملك محمد بن أبي يزيد بن مراد

ابن عثمان ديوان الإنشاء مدة عشر سنوات كتب فيها بالعربية والفارسية والتركية إلى ملوك الأطراف، ودرّس ابنه مراد خان الثاني، وفي هذه الفترة قام ابن عربشاه بترجمة كتاب «جوامع الحكايات ولوامع الروايات» لجمال الدين محمد العوفي من الفارسية إلى التركية(٢٦)، وترجم من العربية إلى التركية تفسير الإمام أبي الليث السمرقندي وكتاب «تعبير الرؤيا» لنصر بن يعقوب الدينوري القادري(٢٧).

المرحلة الرابعة: من ٨٢٤هـ/١٤٢١م إلى ٨٤٠هـ/١٤٣٦م

ولما توفي محمد بن أبي يزيد رجع ابن عربشاه إلى حلب، ثم إلى دمشق في جمادى الآخرة سنة ٨٢٥هـ فجلس في حانوت مسجد القصب، وقد آثر اعتزال الناس أكثر الأوقات، وانكبَّ على القراءة والتحصيل والتأليف.

المرحلة الخامسة: من ٨٤٠هـ/١٤٣٦م إلى وفاته سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م

ترك ابن عربشاه دمشق إلى القاهرة سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م وأقام فيها، ثم اتصل بالملك الظاهر جقمق، وترجم له كتاب «مرزبان نامه» واستقر بالخانقاه الصلاحية، ثم ألّف كتابيه: «عجائب المقدور في نوائب تيمور» سنة ٨٤١هـ وكتابه «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» في صفر سنة ٨٥٢هـ، ثم امتحن على يد الظاهر جقمق، وطلب لشكوى حميد الدين عليه، فأدخلوه سجن المجرمين مدة خمسة أيام خرج بعدها مريضاً، ومات بعد ذلك من القهر بسبب ظلمه بعد اثني عشر يوماً، يوم الاثنين منتصف رجب سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، ودفن هناك بعيداً عن وطنه وأهله وأولاده.(٢٨).

وهكذا فإن حياة ابن عربشاه بدأت بظلم تيمور لنك ونشر القتل والدمار والفساد والحرق والخراب في دمشق، وهو لم يزل في الثانية عشرة من عمره، ثم رحل عن وطنه، هارباً أو أسيراً إلى سمرقند فعاش الغربة وآلامها، ثم عاش الغربة الثانية وهو في بلاد الروم عند السلطان العثماني، ولم يستقر في بلده دمشق بعد العودة إليها فتركها إلى القاهرة، حيث مات قهراً وظلماً، وإذا أضفنا إلى ذلك ما تقدم من سوء الأحوال السياسية في زمن ابن عربشاه وسيطرة تيمورلنك على مدن الشام وتخريبها من ناحية، وضعف دولة المماليك من ناحيةٍ أخرى، لاتضح مدى انتشار الظلم والخوف والرعب تحت سطوة تيمور لنك، وغياب العدل والحكمة والعقل في

زمن ذهبت فيه دولة الخلافة الإسلامية، وغاب عنها العنصر العربي. وإذا كانت الجيوش الحلبية والدمشقية والمملوكية قد عبَّرت عن رفضها حكم التتار بالخروج لملاقاته وقتاله بالسلاح فإن العلماء والأدباء قد لجؤوا إلى حرب التتار بالقلم.

وبذلك يكون الصراع بين السلطة التترية الظالمة ورجال الفكر والعلم والأدب من العرب والمسلمين واضحاً، في محاولةٍ منهم لرد الظلم ونشر العدل، ولا يخرج كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الزرفاء» عن هذا الإطار، إن ابن عربشاه في كتابه هذا يرفع راية العدل والعقل والحكمة في وجه ظلم التتار واضعاً تلك الحكايات على لسان الحيوان والطير بطريقته الفنية السَّردية الرمزية ليوجه خطاباً سياسياً من رجل مسلم إلى الأمة العربية والإسلامية بمفكريها وعامة شعبها لاتخاذ الحيطة والحذر لعدم تكرار المحنة.

إن ذلك كله سيساعد – بلا شك – على فهم حقيقة السّارد ومصداقيته في العملية السردية من ناحية، وسيساعد على فهم حقيقة المخاطَب من ناحيةٍ ثانية، كما سيساعد على الكشف عن الرمز الكامن وراء تلك الحكايات التي جاءت على لسان الحيوان في «فاكهة الخلفاء مفاكهة الظرفاء»، كما سيأتي، من جهةٍ ثالثة.

كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، البنى السَّردية: الكبرى والصغرى

يأتي كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» في آخر سلسلة طويلة من الكتابات الرمزية على لسان الحيوان في الأدب العربي، ويتجه الجزء الأول من عنوان الكتاب «فاكهة الخلفاء» إلى الحاكم نفسه في محاولةٍ لنصحه وتوجيهه وإصلاحه سياسياً، لرفع الظلم ونشر العدل بين الناس، فيما يتجه الجزء الثاني من العنوان «مفاكهة الظرفاء» إلى الظرفاء والأدباء وعامة القرّاء لإشاعة جوٍّ من الفرح الهادف، واللهو المفيد، والسمر اللطيف، في متابعة سردٍ شائق، تُسْرَد فيه حكاياتٌ رمزيةٌ على لسان الحيوان، وُفقَ ثنائيةِ النطقِ والاستماعِ أو الإرسال والتلقي.

ولقد قام الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار بتحقيق كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» وشرحه والتقديم له، فيما نشرته دار سعاد الصباح بالكويت سنة ١٩٩٧م، وبذلك يثري النجارُ المكتبةَ العربية ويضيف إليها واحداً من أهم كتاب الأدب السياسي.

وقد جاء الكتاب في عشرة أبواب:

١ – الباب الأول: في ذكر ملك العرب، الذي كان لوضع هذا الكتاب السبب.

٢ – الباب الثاني: في وصايا ملك العجم، المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم.

٣ – الباب الثالث: في حكم ملك الأتراك، مع ختنه الزاهد شيخ النساك.

٤ – الباب الرابع: في مباحث عالم الإنسان، مع العفريت جان الجان.

٥ – الباب الخامس: في نوادر ملك السباع، ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع.

٦ – الباب السادس: في نوادر التيس المشرقي، والكلب الإفرقي.

٧ – الباب السابع: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال، وأبي دغفل سلطان الأفيال.

٨ – الباب الثامن: في حكم الأسد الزاهد، وأمثال الجمل الشارد.

٩ – الباب التاسع: في ذكر ملك الطير والعقاب، والحجلتين الناجيتين من العقاب.

١٠- الباب العاشر: في معاملة الأعداء والأصحاب، وسياسة الرعايا والأحباب ونكت وأخبار، وتواريخ أخيار وأشرار.

وقد أحكم ابن عربشاه هذا الكتاب إحكاماً وجعله قطعة أدبية واحدة، حيث جمع أبواب الكتاب العشرة حكاية إطارية كبرى، وبداخل هذا الإطار الحكائي عشرة أبواب، أو بمعنى آخر عشر قصص محورية، ثم أتى داخل الباب/ القصة المحورية بكثير من القصص الفرعية، في نظامٍ سرديٍّ متماسك، من أول الكتاب إلى آخر.

أ - الحكاية الإطارية للكتاب/ البنية السَّردية الكبرى:

ربط ابن عربشاه أبواب الكتاب العشرة بحكاية أم/ إطارية واحدة من أول الكتاب إلى آخره، وملخص هذه الحكاية «أنه كان فيما غبر من الزمان قيل من الأقيال». وكان لهذا القيل، أو الملك خمسة أولاد ذكور كل واحد منهم «متوشح للسلطة» وكان أبرزهم حسيب «وهو متميزٌ على إخوته وذويه» وكان قد «حصل أنواع العلوم»، ولما مات ذلك الملك أخذ السلطة من بعده ابنه الأكبر، وأطاعه بقية إخوته، غير أن هذه الطاعة لم تدم؛ إذ سرعان ما دبَّ الخلاف والتنازع على السلطة بين الإخوة، وآثر الأخ الأصغر الحكيم حسيب عدم الانحياز إلى أيٍّ من إخوته المتحاربين، وقرَّر الاعتزال زمن الفتنة، وبعد مشاورة الأصحاب استقر رأيه على الاستئذان لتأليف كتاب «يشمل على فنون الحكمة، وأنواع من دقائق الأجب والفطنة». وعندما ذكر لأخيه الملك ما عزم عليه استثار الملكُ وزيرَه في الموضوع، فاعترض الوزير، وادّعى أن الحكيم حسيب إنما أراد ذلك لكي «يستر جهله، وأن يظهر على فضل الملك فضله... فتنصرف الوجوه إليه، وتقبل الرعايا عليه». وسأل الوزيرُ الملكَ أن يجمعه والحكيم حسيب علانيةً ليكشف زيفه أمام العلماء والناس، فاستجاب الملك لرأي الوزير «فاستدعى العلماء، وذوي الفضل والحكماء، وأولي الآراء والصلحاء، ومن يشار إليه بالفضائل، ويتسم بسمة من الفواضل، وكل أديبٍ أريب، من بعيدٍ أو قريب، وقاطن وغريب». ثم جلس الملك في مجلسه أمام هذا الحشد، وأَذِنَ للحكيم حسيب بالكلام، وبدأ الحكيم حسيب في سرد أبواب الكتاب العشرة، بما فيها من حكاياتٍ رئيسيةٍ لكل باب، وحكاياتٍ فرعيةٍ داخل كل باب، والجميع يستمع بمن فيهم الملك والوزير حتى نهاية الكتاب، ولما انتهى الحكيم من سرده «نهض الوزير وقَبَّلَ قدميه، واعترف له بالفضل المنعم به عليه، وأنه مالك أزمة الإنشاء». أما أخوه الملك

فطار بسروره به عن سريره واتخذه في مهام أموره، مقام أميره». ثم طلب الملك من أخيه الحكيم حسيب أن يسعى «بينه وبين إخوته لرتق ما انفتق، وسد ما خرقه سيل الحسد فانبثق»، ونجح الحكيم حسيب في الصلح بين الأخوة «وحصل الأمن والأمان، ومساعدة الزمان، ومعاضدة الإخوان، ومصافاة الخلان، وطيب العيش والمكان»[٢٩].

وهكذا لعب الحكيم حسيب دور السّارد في «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» كشهرزاد في «الف ليلة وليلة»، والفيلسوف بيدبا في «كليلة ودمنة»، فيما لعب الملك ومن حوله دور المخاطَب، كشهريار في «ألف ليلة وليلة»، والملك دبشليم في «كليلة ودمنة»، وتبدو الحكاية الإطارية الكبرى لـ «فاكهة الخلفاء» توجه من السّارد. الحكيم حسيب إلى المخاطَب الملك، في سياقٍ سرديٍّ عذب؛ لتربط أول الكتاب بآخره ربطاً سردياً شائقاً.

ب – الحكاية الإطارية للباب/ البنية السَّردية الصُّغرى:

قسّم ابن عربشاه كتابه «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» إلى عشرة أبواب، حوى كلُّ بابٍ حكايةً إطاريةً محوريةً رئيسيةً للباب، في إطار الحكاية الإطارية الكبرى للكتاب، وتولد من الحكاية الإطارية للباب كثير من الحكايات الفرعية في سياق سردي واحد، وتبقى ثنائية السّارد والمخاطَب/ الراوي والمروي له هي القاعدة الصلبة التي تقوم عليها البنية السّردية للحكاية الإطارية الأم، وما بداخلها من حكاياتٍ إطارية لكل باب على حدة، بما فيها من حكايات فرعية، فيما تأتي الحكاية في المرتبة الثالثة في ذلك البناء السردي.

وقبل أن يشرع ابن عربشاه في وضع كتابه السردي أكد في خطبته أنه اطلع على الكتب التي سبقته في الحكايات على لسان الحيوان مثل: «كليلة ودمنة»، و«سلوان المطاع»، و«الصادح والباغم»، ثم وضّح أنه وضع حكاياته «على لسان شيخ اللطائف، ومنبع المعارف، وإمام الطوائف، ومجمّع العوارف، ذي الفضل والإحسان أبي المحاسن حسان»[٣٠]، ليكون الراوي لجميع أبواب الكتاب، وسأتناول فيما يلي الباب السابع من «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» بشيء من البحث والدراسة والتفصيل مثالاً لأبواب الكتاب العشرة للكشف عن حقيقة السّارد والمخاطَب وحكايات الحيوان الرمزية فيه. أما لماذا هذا الباب؟ فهو لفائدةٍ أخرى ستتضح فيما بعد.

الباب السابع: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال

يأتي الباب السابع في «فاكهة الخلفاء» في سياقه السردي ضمن أبواب الكتاب العشرة، كمايأتي من حيث البنية السردية للحكاية الإطارية فيه في سياق الحكايات الإطارية لكل باب على حدة ضمن الحكاية الإطارية الكبرى للكتاب في نسقٍ سرديٍّ متماسك، ويستقل الباب السابع كغيره من أبواب الكتاب بحكايته الإطارية ضمن سرد متبع في جميع أبواب الكتاب، وبما لا يختلف كثيراً عن البنية السردية «لكليلة ودمنة» أو «ألف ليلة وليلة» كما سيتضح.

المشهد الافتتاحي:

فقبل البدء في السَّرد يلجأ ابن عربشاه إلى افتتاح السَّرد بمشهدٍ يأتي أول الحكاية الإطارية للباب، وكما بدأ الملك دبشليم في «كليلة ودمنة» وشهريار في «ألف ليلة وليلة» يبدأ الراوي الشيخ أبو المحاسن بافتتاح السَّرد «قال الشيخ أبو المحاسن، من ليس له في الفضل مساو ولا مواسٍ: فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه الأحلى من النسيب، قبّله أخوه بين عينيه، وأفاض خِلَع الإنعام عليه»[٣١] وبهذا تم افتتاح السَّرد بربط الحكاية الإطارية لهذا الباب بالحكاية الإطارية للباب السابق له، فما أنهى الحكيم حسيب سرد الباب السادس حتى تأهب لمتابعة السَّرد في باب جديد مع حكايةٍ إطاريةٍ جديدة، ثم تابع الراوي قوله: «ثم استزاده، وفتح لجامع فضله باب الزيادة»[٣٢] إن جملة «ثم استزاده» تحفزُ المخاطَب لاستقبال المزيد من السَّرد، وتهيِّئُه للتلقي وتفتّحُ آفاق التخيل السَّردي عنده، ولا سيما أن طالب الزيادة في السَّرد والمستمتع به هو صديقٌ قديمٌ صحبه المخاطَب منذ الباب الأول، ثم هي رغبة الملك المستمتع بذلك السَّرد، ومشاركة الملك رغبته تدل على احترام آداب المجالسة، ثم تابع الراوي قوله: «وكان قد وقع بين ملك الأفيال، وبين ملك الأسود المسمى بالرئبال، المكنى بأبي الأشبال وأبي الأبطال مقال أدى إلى جدال، واتصل بحربٍ وقتال»[٣٣]. وبقوله «وكان» قد نقل المخاطَب من الزمن الحاضر إلى زمن السَّرد بالماضي ليعيش في تلك الأجواء، ويستمتع بالخيال المصاحب للسَّرد في الاستماع لحكايةٍ قديمة، كما

أن الراوي قد حدَّد في هذا المشهد الافتتاحي أبطال الحكاية، فهما ملك الأفيال وملك الأسود، لكنْ ما هذا المقال؟ وما ذاك الجدال؟ وكيف تطور الأمر إلى حربٍ وقال؟ وأين وقعت الحرب؟ ومن انتصر فيها؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يثيرها هذا المشهد الافتتاحي في ذهن المخاطَب، ويدفعه إلى حسن الإصغاء لسماع الحكاية، ثم أنهى المشهد الافتتاحي بالإيذان لبدء السَّرد «فسأل الملك أخاه، هل سمع من ذلك شيئاً ورعاه؟ فأجاب بالإيجاب، وذكر في الجواب الأمر العجاب فقال:»[٣٤] إن سؤال الملك لأخيه لا بد له من إجابة، وهو ما أشار إليه أخوه، ولكن ما هذه الإجابة؟ وما ذلك الأمر العجاب؟ وما مضمون تلك الحكاية؟ إن كل تلك الأسئلة وغيرها كثير قد شغل ذهن المخاطَب، وجعله أكثر شوقاً إلى الصمت وحسن الاستماع إلى السّارد وهو يسرد حكاياته، وهكذا انتهى دور الراوي الشيخ أبي المحاسن؛ فبعد أن افتتح السَّرد، ورسم أبعاد الحكاية الإطارية للباب، وقدَّم السارد الحكيم حسيب، تحوَّل إلى مخاطَب يستمع بصمتٍ إلى حكاية الباب الإطارية وما فيها من حكاياتٍ فرعية، فيما نهض السّارد الحكيم حسيب؛ ليلعب دوره في العملية السَّردية كما فعل الفيلسوف بيدبا في «كليلة ودمنة» وشهرزاد في «ألف ليلة وليلة».

الحكاية الإطارية للباب:

يبدأ السّارد الحكيم حسيب سرد الحكاية الإطارية للباب السابع بناءً على سؤال أخيه الملك الذي تحول إلى مخاطَب يستمع هو ومَنْ حوله كالوزير وكبار العلماء والأدباء، وانطلق السّارد في نقل المخاطَب إلى الزمن الماضي إيذاناً ببداية السَّرد «كان يا ملك الزمان في بعض أطراف الهنود، من عساكر الأفيال جنود في جزيرةٍ عظيمة...»[٣٥] وتتلخص الحكاية الإطارية للباب في أن ملك الأفيال المكنى بأبي مزاحم وأبي دغفل كان يسكن جزيرةً عظيمة وكان «طويل الخرطوم، واسع الحلقوم، مبسوط الأذنين، حديد العينين...»[٣٦] وبلغه يوماً «أن في بعض الغياض والآجام مكاناً في غاية النزاهة، معدن الفواكه والفكاهة، ذا مياهٍ عذبة، ومروجٍ رطبة...»[٣٧] وأن هذا المكان يصلح أن يكون مقاماً لملك الأفيال، غير أن في هذا المكان أسداً هصوراً له جندٌ وأتباع، وبينما كان الناقل يصف جمال المكان لملك الأفيال قال أحد الندماء: «لو قصد الملك ذلك المكان، وجعله لنفسه من بعض الإسكان، وتنقل إليه في بعض الأوقات، وساعات التفرج في المتنزَّهات لأراح نفسه الخطيرة...»[٣٨] ثم أضاف ذلك النديم:

«والأسد الذي فيها.. ملك عادل وسلطان فاضل، تمنعه شهامته، وكرم نفسه وكرامته، ورياسته وزعامته، أن يضايق الملك في ذلك»[٣٩]. فإن وافق على أخذ ملك الأفيال لذلك المكان وإلا «فالعساكر المنصورة... فيكفُون الملك أمره، ويكفّون أذاه وشره»[٤٠]، ثم لجأ ملك الأفيال إلى وزيريه، وهما أخوان له، الأول اسمه مقبل وهو رمزٌ للخير، والثاني اسمه مدبر وهو رمزٌ للشر، فيستشيرَهُما في الأمر، فكان رأي المقبل هو ترك الأسد وشأنه في أرضه وعدم التعرض له خاصة أنه «ملكٌ كبيرٌ عادل، وسلطانٌ خطيرٌ فاضل...، سيرته مشكورة، ومحاسنه مأثورة...، وهو جارٌ حسن الجوار، لم يضبط عليه، ما يقتضي انتزاع ملكه، ولم يتعرض إلى متعلقاتنا، ولا آذى أحد في ولايتنا...»[٤١]. أما المدبر فكان رأيه حرب الأسد ونزع ملكه ولا سيما «أن الأسد حيوانٌ ظلوم... وخلاص الرعية من شره واجب»[٤٢]. وأن توسعة البلاد سيزيد غناها وجندها وقوتها فيكون «الخرج والكلف، والكرم الذي بأنامله ائتلف، كل يوم في ازدياد، والعساكر المنصورة كل يوم تداد»[٤٣]. كما أنه لا يجوز في ملة الإسلام أن يتعدد الخليفة الإمام»[٤٤]. وهكذا تتصح الملامح الأساسية للحكاية الإطارية للباب السابع ومضمونها السياسي. ويطرح الكاتب كثيراً من الأسئلة المتعلقة بأحوال العرب والمسلمين في زمنه، فهل يجوز قتال الحاكم المسلم، العادل في حكمه، المقبول في رعيته، والمسالم الذي لم يعتدِ على جار له، والحاقن للدماء؟ وهل يباح قتاله لمجرد ضعفه ومسالمته طمعاً في أخذ أرضه والتوسع والغنى على حسابه؟ وهل يخالف ملة الإسلام تعدد الإمام؟

ثم أنهى الكاتب الحكاية الإطارية للباب بنهايةٍ سرديةٍ تفتح آفاق السَّرد في الحكاية الإطارية للباب للمضي في سرد حكايات فرعية... «وناهيك يا ملك المماليك، في علو الهمة، وصدق العزمة، وغوص الأفكار، في استخلاص ممالك الأقطار، قضية فحل الرجل تيمور لنك، الأعرج الدجال، مع نائبه «الله داد» أحد القواد، ونواب البلاد. فسأل أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضية، وإيضاحها عن جلية»[٤٥]. وهكذا لم تنته الحكاية هنا كما تنتهي القصة أو الرواية، حيث إن الطبيعة السَّردية الخاصة بالحكايات الخرافية على لسان الحيوان هنا اقتضت مواصلة السَّرد، وتفرع الحكايات الإطارية إلى حكايات فرعية قد تتضمن حكايات فرعية بداخلها، في نسيجٍ سرديٍّ متوالدٍ ومتماسك.

وتبدو الرغبة في استمرار السَّرد بقوله: «وناهيك». أما عندما يسأل «أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضية وإيضاحها»(٤٦) فإن متابعة السَّرد تصبح قضيةً حتمية، وهنا يبدو واضحاً تبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب، وهي سمة سردية؛ إذ سرعان ما يتحول السّارد إلى مخاطَب والمخاطَب إلى سارد.

١/٧ الحكاية الفرعية الأولى: قصة تيمورلنك مع نائبه:

وتابع السارد، وهو الوزير المدبر، سرده فيما يظل أخوه ملك الأفيال أبو مزاحم أو أبو دغفل مخاطباً يستمع إلى هذه الحكاية الفرعية الأولى التي تأتي ضمن الحكاية الإطارية للباب السابع، وتبدو الحكاية الفرعية الأولى هذه تكملة للسَّرد السابق وللموضوع نفسه، وتتلخص الحكاية الفرعية الأولى بأن السّارد المدبر حكى حكاية أكد من خلالها لأخيه ملك الأفيال أن القتال واجب، وتوسعة الممالك وزيادة المال والجند تقوي الحاكم، فضرب مثلاً بحكاية تيمورلنك الذي «لما حلَّ بالممالك الرومية، في شهور سنة خمس وثمانية، وأسر مالكها، واستخلص ممالكها، استمر في ممالك العرب يصول، وفي فكرة استخلاص ولايات الشرق يجول»(٤٧) ثم كيف استخلف تيمورلنك نائبه «الله داد» على مدينة «أشبارة» بعد أن فتحها، وقتل أهلها، وجمع ثرواتها دانت له بمن فيها، وكيف أمر تيمورلنك نائبه بوضع خريطة مفصلة لمدينة أشبارة المفتوحة تبين «مدنها وقراها، وهدّها وذراها، وقلاعها...»(٤٨).

ثم رجع السارد المدبر إلى المخاطَب، أخيه ملك الأفيال، وأكد له أنه إنما أورد تلك الحكاية «ليقف سامعها على مقدار الهمة العلية، فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنية، ولا يقنع بالدرجة الوطية، بل يجتهد في تكثير الجند والرعية، وفتح الأقاليم العربية والعجمية»(٤٩). ثم مضى السارد وأكد للمخاطَب ملك الأفيال أن «موضوع السلطنة، أن يتعاطى الملك – مهما أمكنه – من أسباب الفتح والمفتوح»(٥٠). ويبدو المخاطَب ملك الأفيال، أكثر قبولاً لرأي أخيه ووزيره المدبر، وأنه اختار الحرب «فإن القلب قد مال إلى العزم، والأخذ إلى التوجه بالحزم، وترجيح جانب الوثوب إلى جهة هذا المطلوب»(٥١). وتوجه ملك الأفيال، بعد أن تحوَّل إلى سارد، إلى أخيه ووزيره الآخر المقبل فيقول له بعد أن عزم على الحرب: «فأمعِن النظر، وأجِّل قدح الفكر، ولا تُخْفِ رأياً يسنح، في أي جهةٍ ترجح»(٥٢). فماذا سيقول المقبل وهل سينجح في تغيير

رأي ملك الأفيال؟ وهنا تحول السّارد، ملك الأفيال، إلى مخاطَب، هو وأخوه ووزيره المدبر، فيما بدا المقبل سارداً يقول رأيه بحكمةٍ وعقل: «إن الذي رآه العلماء، وأشار به ذوو الحنكة من الحكماء أن مَنْ طَلَبَ وُفُورَ خَيرِهِ، وفائدة نفسه في مضرة غيره، لا يتمتع بتلك الفائدة، ولا تثمر معه تلك العائدة، وهذا على تقدير حصولها، والاستيلاء على فروعها وأصولها، وإن لم يظفر بها، فلا تستفد النفس إلا كربها، مع زيادة الحسرة، وسوء الصيت في الشهرة، ووفور الندم، وزلة القدم...»[٥٣]. ثم أضاف المقبل سارداً، وملك الأفيال مخاطَباً يستمع هو والمدبر: «وبالخُلُقِ الحسن وحسن السياسة، تملك رقاب أولي الرياسة، فضلاً عن العوام، وهذا بحسب المقام، ولا يتصور أن مجرد المال هو شبكة صيد الرجال؛ فإن حفظ الممالك، هو وراء ذلك»[٥٤]، ثم أتى السارد المقبل إلى نهاية الحكاية الفرعية الأولى في المشهد الأخير في الحكاية لاستئناف السَّرد، الذي يؤذن بولادة حكاية فرعية ثانية «وإلا فمثل الذي يعلق به فؤاده، ويربط بدوامه وبقائه واعتقاده، ويتصور ذلك بفكره الفاسد، ونظره الكاسد، كمثل كسرى لما مات ولده، وتفتتت عليه كبده، وحصل له عليه الاضطراب، ورده عن خطئه البهلول إلى الصواب»[٥٥]. وهكذا انتهت الحكاية الفرعية الأولى وقد أذنت بولادة حكاية فرعية ثانية، فإن حال الملك إذا خرج الأمر من يده بعد تعب وحرب فإنه يحمل في قلبه حسرةً كحسرةِ كسرى على ولده، ثم أتت جملة استئناف السَّرد لتنقل المخاطَب إلى الحكاية الفرعية الثانية «فسأل أبو الحجاج، أخاه المحجاج، عن بيان هذا الأمر، وكيفية إطفاء هذه الجمر»[٥٦]. وبذلك انتهت الحكاية الفرعية الأولى، وقد ولدت حكاية فرعية متصلة بها سردياً، وقد أصبح المخاطَب أشد شوقاً لسماعها.

٢/٧ الحكاية الفرعية الثانية، حكاية كسرى وموت ابنه:

وتابع المقبل سارداً الحكاية الفرعية الثانية، في إطار الحكاية الإطارية الأم للباب السابع، فنزولاً عند رغبة أخيه الملك حكى له حكاية كسرى وموت ابنه، فيما تحول ملك الأفيال ووزيره المدبر إلى مخاطَبين يستمعان بحذر: «فقال المقبل، ذكر محدّثٌ معدل، أن كسرى كان له ولد، قد سكن منه سويداء الخَلَد... فأدركه الأجل المحتوم، واستوفى مداه المعلوم، فاضطرب كسرى لموته واضطرم...»[٥٧]. ثم دشن السّارد المقبل لبداية سردٍ جديد وساردٍ ومخاطَب جديدين بقوله: «وكان في بلده رجلٌ بهلول يتردد إليه...». وهكذا تنفتح آفاق السَّرد الجديد، ويحتل البهلول موقعه سارداً والملك

كسرى مخاطباً. فلما دخل بهلول على كسرى «سأله عن حاله، وما أوجب توزع باله، وتغير أقواله»[٥٨]. وهنا تحول بهلول إلى مخاطَب، فيما تحول كسرى إلى سارد «فقال: يا بهلول عدمت ولدي، وقرة عيني وراحة روحي وجسدي»[٥٩]. ثم رجع بهلول سارداً يسرد قصة لعيسى عليه السلام، فيما رجع كسرى مخاطَباً يستمع: «قال البهلول: نعوذ بالله من ساعات الذهول، يا ملك الأنام، إن عيسى – عليه الصلاة والسلام – شكا إليه بعض حواريه شيئاً يشابه ما أنت فيه، فقال عليه السلام: كن لربك كإلف الحمام، يذبحون فراخه، ولا يفارق مناخه، ولا ينفر عنهم، ولا يشكو منهم»[٦٠]. وهكذا فإن الحكاية الفرعية الثانية ولدت حكاية فرعية أصغر بداخلها، كان فيهما عيسى – عليه السلام – سارداً والحواريون مخاطبين، وما أن أدت هذه الحكاية الفرعية الصغيرة وظيفتها السَّردية، في تقديم المثال للملك بالصبر، حتى تلاشت؛ ليعود السّارد البهلول من جديد مخاطباً كسرى وسائلاً: «وأنا لي إليك سؤال، فأجبني بجوابٍ شافٍ، فإنك ذو ألطاف، فلا يكن فيه جزاف»[٦١]. فقال كسرى: «سلْ، فكلامك لا يُمل»[٦٢] وهنا تبادل كسرى المواقع في البناء السَّردي مع البهلول فتحول سارداً وبهلول مخاطَباً، ثم رجعا إلى سابق موقعيهما وهكذا، فسأل بهلول مولاه كسرى: «أكُنتَ ترجو أن ولدَك لا يموت أبدا، وأنه يصير في الدنيا مخلدا؟ فقال: لا، ولكنْ أردت أن يبقى مدة، ويتمتع بشبابه وبنعيمها مدة... قال: هب أنه عاش مهما دمت... فعند مفارقة العيش... هل يدفع عنه ذاك شراً... قال: لا. قال: فلا تأس على معاش، يكون عقبى أمره إلى لاش... فجبر بهذا الكلام كسرى، وسُرِّيَ عنه همه وأسرى. وقال: الآن سكنت، فنعم الناصحُ أنت»[٦٣]. وبعد الانتهاء من هذا السَّرد للحكاية الفرعية الثانية للباب السابع ظهر السّارد المقبل ثانيةً، الذي اختفى بصمت طيلة سرد حكاية كسرى وابنه، وعاد سارداً الحكاية الفرعية الثانية، فيما ظهر أيضاً ملك الأفيال والمدبر مخاطبين من جديد. وبذلك واصلَ المقبل سرده: «وإنما أوردت هذا التنبيه، أيها الملك النبيه لأعرض على الخواطر السعيدة، والآراء السديدة، الرشيدة، أن الاقتصار على هذا أولى، وأليق بالركون تحت إرادة المولى...»[٦٤]. وحالما صمت المقبل ظهر المدبر سارداً فقال: «ثلاثة أشياء ينبغي لطالبها أن لا يفتكر في عواقبها: الأول: الإسفار في البحار... الثاني: المقدم على الحرب... والثالث: طالب الرياسة والملك ذي السياسة»[٦٥] وتم تبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب، أو المقبل والمدبر، وأتى المقبل

سارداً، بعد أن أنهى المدبر سرده وتحول إلى مخاطَب، ليقول لملك الأفيال بأن القتالَ أمرٌ عظيمٌ، وسيؤدي إلى سفك الدماء البريئة وتبديد الأموال، وأن النصرَ غيرُ مؤكدٍ، خاصةً ونحن سنقاتل أسداً في بلاده التي لا نعرفها وله فيها جندٌ وقوة، ولا بدَّ من حساب الربح والخسارة كالتاجر في تجارته، وفي حال الهزيمة وانتصار الأسد علينا فإن ذلك سيضعف الملك في عين رعيته «فلا تخافه الرعية ولا يرجونه، ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه...»(٦٦). وما أن أنهى السّارد المقبل كلامه إلا وتحول مخاطَباً يستمع هو وملك الأفيال لما يقوله السّارد المدبر، الذي أكد أهمية توسعة الملك والإقدام على حرب الأسد في بلده «فإن التاجر إذا افتكر في لذة الفائدة... يضع جميع ماله... في الفلك المشحون، ولا يرهب ريبَ المنون...»(٦٧) وأن المظلوم في أرض الأسد سيهب لمساعدتنا «فيدل على عورات العدو ومظان عثراته»(٦٨). وفي عملية تبادل مواقع أيضاً أصبح المدبر مخاطَباً فيما ظهر ملك الأفيال سارداً يسأل المقبل، الذي تحول هو بدوره إلى مخاطَب.. عن رأيه وردّه على ما قاله المدبر في وجوب القتال، فقال المقبل سارداً، فيما تحول ملك الأفيال إلى مخاطَب هو والمدبر: «هذا المقال وإن كان لا يخلو من الاحتمال ووقعه غير محال، لكن الأقرب إلى الذهن أن هذا لا يقع، لأنه أمر مبتدع...»(٦٩) وهكذا أصر المقبل على رأيه في عدم جدوى القتال، فيما قرر ملك الأفيال القتال أخذاً برأي أخيه الآخر ووزيره المدبر «لأن النفس مائلة بطبعها إلى الفساد. فشرع الملك واعتمد، على التوجه إلى بلاد الأسد»(٧٠) وهكذا أحكم البناءَ السردي للحكاية تبادل المواقع بين السارد والمخاطَب، ونلاحظ أن السارد في جميع الأحوال يكون واحداً، أما المقبل أو المدبر أو ملك الأفيال، ففي جميع الأحوال أيضاً يكون المخاطَب ملك الأفيال بشكلٍ ثابت، وواحد من أخويه الوزيرين المقبل أو المدبر، فيما يظل سارد الحكاية الإطارية للباب الحكيم حسيب صامتاً مخاطباً يستمع ويتلذذ بالعملية السَّردية التي يقف وراءها، وبحسب الطبيعة السَّردية لا تنتهي الحكاية عند هذا الحد إذ سرعان ما لجأ السّارد الحكيم حسيب إلى مواصلة السَّرد بحكاية فرعية صغيرة، داخل الحكاية الفرعية الثانية للباب السابع، فتحت آفاقاً جديدة لاستمرار السَّرد ومواصلته: «فاطلع على هذه الأحوال، غراب يكنى أبا المرقال، كان له وطن وولد، وسكن في ممالك الأسد»(٧١). وأسرع أبو المرقال إلى الأسد ليخبره بما نوى عليه ملك الأفيال من مهاجمته، وتم الاتفاق بين أبي المرقال والأسد الرئبال على المواجهة والاستعداد لملاقاة العدو ملك الأفيال أبي دغفل. وفي هذه الحكاية الفرعية

الصغيرة تبادل الغراب والأسد مواقع السّارد والمخاطَب حتى وصلا إلى الاتفاق على أمر، وقررا «أن يتفق أعيان كل جنسٍ من الحيوان، على رئيسٍ من جنسهم، يقيمونه مقام أنفسهم، ويرضون بأقواله، ويقتفون آثار أفعاله...»[٧٢] فاختارت النمور أبا مرسال فهو «سريع الوثبة، بديع الضربة»[٧٣] واختارت الثعالب أبا الحصين «لطيف الروغان، ظريف الزوغان»[٧٤] واختارت الذئاب أبا الأشبال فهو «شديد المكر والكسر»[٧٥]. فاجتمع الجميع بالأسد وسأله أبو الأشبال عن رأيه فقال الأسد: «لا تطلب النصر، في هذا الحصر، إلا من مالك العصر، ومصرف أهوال الدهر، بين الفرج والقسر، وهو الله سبحانه وتعالى، وعز شأنه وجلّ جلالاً. فإنا مظلومون وهم ظالمون، ونحن ما اعتدينا عليهم، ولا تقدمنا بالظلم إليهم، فسيرد الله كيدهم في نحرهم...»[٧٦]. ثم ناقش الحاضرون جميع الاحتمالات والآراء المتاحة وهي: الفرار أو الصلح أو الحرب مع العدو، فيستبعد الفرار «أما الفرار فلا سبيل إليه»[٧٧]. وهنا أيضاً تبادل الذئب أبو الأشبال مع الأسد الرئبال مواقع السّارد والمخاطَب في حوارهما، ثم أتى المشهد الأخير في الحكاية لاستئناف السَّرد بقوله: «والعمر الذي يمر في نكد لا يحسبه من ذوي الكفاية أحد وحسبك ما ذكره المترجم من حكاية الملك المعزول مع المُنَجِّم»[٧٨]. وبذلك انتهت الحكاية الفرعية الثانية، وقد أذنت بميلاد حكاية فرعية ثالثة للباب السابع، ودشن لذلك جملة استئناف السَّرد في نهاية الحكاية «فسأل أبو الأشبال، سرد هذا المثال»[٧٩]. وهكذا أكد الأسد عدم الفرار، فإما الصلح وإما القتال، وهذا ما سيتضح في الحكاية الفرعية الثالثة للباب السابع.

وهنا نلاحظ تعقد البنية السَّردية لهذه الحكاية الفرعية الثانية في الباب السابع، واتضح مدى قدرة الحكاية السَّردية على التشعب وتوالد حكايات منها، فحكاية ملك الأفيال مع الأسد تولد حكاية كسرى وابنه، وهذه الحكاية بدورها تولد ثلاث حكايات فرعية قصيرة:

١ – حكاية عيسى عليه السلام مع حواريه.

٢ – حكاية الغراب والأسد.

٣ – حكاية الذئب والأسد.

ولا شك أن اعتماد البناء السَّردي على العلاقة بين السّارد والمخاطَب كان وراء توالد كل تلك الحكايات الفرعية الصغيرة.

٣/٧ الحكاية الفرعية الثالثة، حكاية الملك المعزول مع المُنَجِّم:

وهكذا قادت جملة استئناف السَّرد في الحكاية الفرعية الثانية إلى حكاية فرعية ثالثة في الباب السابع؛ فقد أكد الذئب للأسد أن لاَّ سبيلَ إلى الفرار، وأن العمر الذي يمر في نكد لا يحتسب، وهذا كحال الملك البابلي مع المُنَجِّم، وبذلك يُفتتح السَّرد من جديد، ويظهر الأسد سارداً والذئب مخاطَباً، فقال الأسد: «ذكر القائل أن أهل بابل كانت عادتهم في دينهم، وسلوك طريقهم مع سلاطينهم، أنهم إذا اعتنوا بشخصٍ ملّكوه، وإذا أرادوا عزله تركوه، ونشزوا عنه وفركوه...»[٨٠] وقد ولَّوا واحداً ملكاً عليهم فقال: «لو راقبت في أول الجلوس، ما في الطالع من سعود ونحوس، ثم اخترت لساعة ارتقائي، وقتاً يطول في بقائي»[٨١]، ثم طلب منجماً يطالع له برجه، ويختار له ساعة الاعتزال قبل قتله، فوافق المُنَجِّم، وسأل الملك عما إذا كان يعرف مولده وعمره فقال الملك: «نعم أعرف مدة عمري جزماً، وهي اثنان وعشرون يوماً»[٨٢]. عندها تعجّب المُنَجِّم من ذلك الجواب فقال له الملك: «مدة استيلائي على السرير، هو هذا القدر اليسير، وأنا لا أحسب العمر، ولا أعتد بوصال بيضٍ ولا سُمْر، إلا هذه الأيام والليالي، ولا أحسب سواها عمراً ولو بيع باللآلي»[٨٣].

إن ملخص الحكاية الفرعية الثالثة هذا يظهر فيه تبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب/ الملك والمُنَجِّم، فيما يظل سارد الحكاية الفرعية الثالثة. وهو الأسد مع الذئب، مخاطبين صامتين، ثم عاد سارد الحكاية الفرعية الثالثة، وهو الأسد، ليتابع سرده مخاطباً الذئب: «وإنما عرضت يا بطل على رأيك السعيد هذا المثل، لتعلم أن أيام المحنة لا تعد عمراً»[٨٤]. ثم واصل الأسد سرده رافضاً مبدأ الصلح مع العدو، ملك الأفيال، بعد أن رفض الفرار قبل ذلك «وأما الصلح يا ذا الركون فعلى أي وجهٍ يكون؟ ومن أين يقع بيننا وبينهم اتفاقٌ وسكون، وليسوا من جلدتنا، ولا على ملتنا، وفي أي عصرٍ وأوان ذل الأسد واستكان، وخضع للفيل ودان؟»[٨٥]. ثم قرّر الأسد صراحةً بأنه «لم يبقَ إلا الاستعداد للمصادمة، والتأهب للمقاحمة والمقاومة، ولنا من ذلك في البين، إحدى الحسنيين: إما الظفر بهم وهو المرام، وإما الشهادة فنموت ونحن كرام»[٨٦]. ثم مضى الأسد فسأل النمر أبا مرسال عن رأيه الذي أبان عن خوفه من الهزيمة أمام ملك الأفيال، فاقترح مراسلتهم مهادنتهم ومطاولتهم «فإن تيسّر رجوعهم، وانكشف بالهوينا جموعهم، وإلا فنكون قد استعددنا على الاستبصار،

فنتعاطى أمور قتالهم بعد التأمل والاختبار...»[٨٧]. ثم التفت الأسد إلى الذئب العملس، وسأله رأيه فقال: «إنه من التوفيق إذا ابتلي الشخص بعداوة من لا يطيق، أن يدافعه بالهدايا والتحف، ويحابيه بشيء من الظرائف والنتف»[٨٨]. ثم التفت الأسد إلى الثعلب، أبى وَثَّاب أبي الحصين، الذي رأى أن أمامه طريقة واحدة «وهي طريقة الاحتيال... فبشباك الحيلة. تصاد كل فضيلة، وتهون كل جليلة»[٨٩]. ثم تابع الثعلب بيان رأيه بأن قتال ملك الأفيال «فلا طاقة لنا به... لأنا عاجزون عن المصادمة، قاصرون عن المقاومة... وأيضاً أحوال عساكرنا المفرقة المضمومة، لاختلاف أجناسها وأنواعها غير معلومة، فلا اعتماد عليهم،... أما عساكر الأفيال، فبينهم اتفاق على كل حال، لأنهم جنس واحد»[٩٠].

وهكذا تم تبادل المواقع بين السّارد الأسد والمخاطَبين وهم مجموع الحيوانات، كلٌّ على حدة، ففي حال تحول أحد الحيوانات إلى سارد يتحول الأسد وبقية الحيوانات إلى مخاطَبين في نسق سردي متماسك، ثم أتت الحكاية الفرعية الثالثة إلى المشهد الأخير في الحكاية لاستئناف السرد إيذاناً ببداية حكاية فرعية جديدة رابعة ضمن الحكاية الإطارية الأم للباب السابع، حيث واصل الثعلب سرده: «والمعتمد على مثل عساكرنا، إن لم يضبط بطريقة كلية أمر عشائرنا ينفرط أمره، ويخمد في إيقاده نار الحرب جمره، ويعلوه من بحر النوائب غمره، ويظفر به أعداؤه زيده وعمره، ويصيبه من الحطة، ما أصاب الصياد من القطة»[٩١]. وهكذا قاد هذا المشهد إلى حكاية جديدة، ثم أتت جملة استئناف السرد: «فسأل أبو الحارث، عن بيان هذا الحادث»[٩٢]. فدشن السارد لميلاد حكاية فرعية جديدة.

٤/٧ الحكاية الفرعية الرابعة، حكاية القط والصياد:

وواصل الثعلب سرده في هذه الحكاية الفرعية الجديدة، إذ لا سبيلَ إلى القتال بل المهادنة، لأن عند القتال سينهزم عساكر الأسد فهم أشبه بقط الصيد الذي قتل صاحبه بسوء تصرفه؛ «قال الثعلب: ذكر أن رجلاً ذا كيد، كان مغرماً بالصيد، وكان عنده قطٌّ صياد... ثم قصد الصيد وهو مصاحبه... وركب جواده، وتوجه يروم اصطياده... فخرج من وراء خصرة طائفة من الحجل، فتوجه إليه، وألقى القط عليه، فطار الطير، وخاف القط،... فظفر إلى جبهة الجواد، وأنشب فيها مخالبه الحداد،

فجفلت الفرس من القطة، وخبطت بفارسها الأرض شرَّ خبطة أزهقت منها نفسه، وأبطلت حسَّه»[٩٣]. ثم عاودَ السّارد الثعلب سرده للحكاية الفرعية الرابعة: «وإنما أوردت هذا المثل، ليحترز أيها البطل، في هذا الأمر من وقوع الخلل، وتفكر في أمر هؤلاء الجماعة... فإنهم لا يصلحون للقتال، خصوصاً مصادمة عساكر الأفيال»[٩٤]. ثم بين أنه في حالة مباغتة العدو ليلاً، كما ذكر أبو سهيل، «فهو رأي معتبر... إذا كان العدو في سكون... أما إذا كانوا مستعدين... فربما يكونون افتكروا منا هذه المكيدة... نُتوجه إليها غافلين»[٩٥].

وهكذا ظل الثعلب في هذه الحكاية الفرعية سارداً، فيما بقي المخاطَب الأسد صامتاً يستمع دون الرد ودون أن يتحول سارداً، ثم انتقل السارد الثعلب إلى المشهد الأخير في الحكاية الفرعية الرابعة لاستئناف السرد في حكاية فرعية جديدة بقوله: «فيصيبنا من النكال، ما أصاب الجمل من الجمّال»[٩٦]. وهكذا يستأنف السَّرد، لتأتي جملة استئناف السَّرد إيذاناً بالانتقال للحكاية الفرعية الخامسة، في إطار الحكاية الإطارية الأم للباب السابع بقوله: «فقال الرئبال: هات يا أبا التُّرَّهات، أخبرنا يا أبا نوفل، أخبار الجمل المغفل»[٩٧].

٧/٥ الحكاية الفرعية الخامسة، حكاية الجمل والجمّال:

ويتواصل السَّرد على لسان السّارد الثعلب في الحكاية الفرعية الخامسة، ضمن الحكاية الإطارية الأم للباب السابع، حيث رأى الثعلب أنه في حال إدراك العدو، ملك الأفيال، بأمر مهاجمته فسوف يستعد لذلك، ومن ثم يقع الأسد في مكائده ويندم، ويكون حال الأسد – وقد حاول الاستذكاء على العدو اليقظ – كحال الجمل الذي حاول الاستذكاء على جمّاله فوقع في شركه وندم: قال: كان جمّال، فقيراً ذا عيال، له جملٌ يتعيش عليه... فرأى صلاحه في نقل ملح من الملاحة، فجد في تثقيل الأحمال... إلى أن حال الجمل إلى الهزال...»[٩٨] وكان للجمل أرنبٌ صديقٌ له، فأشار عليه أن يبرك في حوض الماء فيذوب الملح الذي يحمله فيخف الحمل، ففعل الجمل ذلك مراراً حتى علم الجمّال بالأمر، فما كان منه إلا أن حمّل الجمل قطناً، فلما برك في الماء، تشرّب القطنُ الماءَ وثقل الحِمْلُ على الجمل «ورجع هذا الفكر الوبيل، على الجمل المسكين بأضعاف التثقيل، فساء مصيره، وكان في تدبيره تدميره...»[٩٩].

وهكذا استمرَّ الثعلبُ سارداً الحكاية الفرعية الخامسة للباب السابع، فيما ظل الأسد مخاطَباً صامتاً يستمع بهدوءٍ وتفكُّر، ثم عاودَ السّارد الثعلبَ سرده بقوله: «وإنما أوردت هذا المثل، عن الجمل، ليعلم الملك والحضّار، أن العدو الغدّار، والحسود المكّار، يتفكر في أنواع الدواهي»[١٠٠]. ثم واصل الثعلب سرده وبين رأيه ورد على الذئب بأن «طلب الصلح وإرسال الهدايا، فمن أعظم المصائب وأكبر الرزايا، فإن ذلك يدل على عجزنا والخور»[١٠١]. ثم بين الثعلب سارداً رأيه في التعامل مع هذا العدو «لكن الرأي الأنور، أيها الورد الغضنفر، أن ترسل إليهم رسولاً... برسالةٍ فحلة»[١٠٢]. يسأل فيها عن سبب التوجه إلى بلاد الأسد، وهو الذي لم يبدر منه إلا جميل الصنائع مع المحافظة على حسن الجوار وكف الأذى، ثم يبين في الرسالة قوة جيش الأسد وبسالة جنده، وبعد سماع الجواب ينظر في الأمر، فاستصوب الجميع هذا الرأي، واختاروا ذئباً لحمل رسالة الأسد إلى ملك الأفيال بيّن فيها «أن قوتنا من قديم الزمان ظاهرة، وهيبتنا باهرة، وصولتنا قاهرة،... وقد اتصل بنا أن ملك الأفيال، توجه إلينا بجنوده... وما علمنا لذلك موجباً، ولا تقدمنا بعداوة تنشئ حَرْباً وحَرَباً... فأنعموا برد الجواب، وميزوا الخطأ من الصواب، قبل أن يكشر الشرُّ نابه...»[١٠٣] ولما بلغ الذئب رسالة الأسد هذه إلى ملك الأفيال انزعج منها كثيراً، وغضب أشد الغضب، وبعث برئاسة مع أحد الفيلة إلى الأسد يخيّره بين أمرين: «إما أن تطيع لأمرنا وتنقاد، وتسلم إلينا ما بيدك من بلاد، وإما أن تختار طريق الفراق والفرار»[١٠٤]. ولما وصلت هذه الرسالة إلى الأسد تشوش، وداخل نفسه الغيظ والنكد والحيرة، واتجه إلى الثعلب يسأله رأيه في الأمر، فوضّح الثعلب رأيه، بأن رد الفيل يدل على عدم عقله وأنه أمى البصيرة، وقد غوى واغتر بنفسه وجهل، وأنه ما دام قد استخف بالأسد وقومه واستحقرهم فإنهم سيثبتون له قوتهم، ثم دعا الثعلبُ الأسدَ بأن «لا يلتفت إلى هذا الكلام... بل يعتمد على العزيز الجبار... ويقوي جنانه على الملاقاة، وقد وافاه النصر وآتاه... فإن هؤلاء اعتدوا على ولايته وأتوها، فسينزل الله عليهم جنوداً لم يروها...»[١٠٥]. وهكذا انتهت الحكاية الفرعية الخامسة للباب السابع بغلبة رأي الثعلب في مقاتلة ملك الأفيال، وبدا واضحاً تبادل المواقع بين الثعلب والأسد، أو السّارد والمخاطَب، مع ملاحظة قيام الثعلب بدور السّارد الرئيسي للحكاية الفرعية الخامسة هذه، بينما ظل الأسد مخاطَباً حسن الاستماع أكثر الوقت،

ثم أتى المشهد الأخير في هذه الحكاية الفرعية لاستئناف السَّرد «وناهيك قصة الفارة، مع رئيس الحارة، وما فعلته، إذ ختلته، إلى أن قتلته»[١٠٦] وبذلك دشن السّارد لاستئناف السَّرد مع حكاية فرعية جديدة لهذا الباب السابع، وأتت جملة استئناف السَّرد «فسأل حيدرة، عن تلك المأثرة»[١٠٧]. وهكذا أذن الأسد للثعلب بمواصلة السَّرد في الحكاية الفرعية الجديدة.

٦/٧ الحكاية الفرعية السادسة، قصة الفارة مع رئيس الحارة:

وواصل الثعلب سرده سارداً الحكاية الفرعية السادسة للباب السابع، فيما ظل الأسد مخاطَباً مستمعاً، ليكوّن الرأي في التعامل مع ملك الأفيال القادم للحرب. فحكى الثعلب حكاية للأسد تفيد بأن الحيلة قد تفعل ما لا يفعله العسكر الجرار. وخلاصة الحكاية أن رجلاً خسيساً كان يتهم زوجته بسرقة بيض الدجاجة، ويضربها لذلك وهي بريئة، فلما رأت الفأر أبو راشد، يسرق البيض أخبرت زوجها، الذي قام بنصب شرك لصيد الفأر، ولما علم الفأر بتلك المكيدة تجنبها، ولكن عندما زاره فأر صديق تقدم هذا الضيف لأخذ البيضة فوقع في الشرك ومات، فحزن صديقه الفأر أبو راشد عليه، وعزم على القصاص والثأر، فاتفق مع عقرب صديق له أن يختبئ في جحر الفأر، ويضع ديناراً من الذهب، نصفه خارج الجحر ونصفه الآخر داخله، فلما دخل الرجل الدار ورأى نصف الدينار خارج الجحر أدخل يده في الجحر لأخذه «فضربته العقرب ضربة، قضى منها نحبه، فبرد مكانه، ولاقى هوانه، وأخذت الفأرة ثارها»[١٠٨].

وهكذا سرد الثعلب الحكاية، بينما ظل الأسد مخاطَباً مستمعاً. وبعد انتهاء سرد الحكاية تابع السّارد الثعلب سرده ببيان هدفه من السَّرد: «وإنما أوردت هذه الأخبار، ليعلم الملك أن حيلة صائب الأفكار، تفعل ما لا يفعله العسكر الجرار... فلا يهتم الملك بجثث الأفيال، ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال... وأول ما نعاملهم بالوهم وإظهار الصولة، والتخويف والإرهاب بقوة الدولة...»[١٠٩]. ثم انتقل السّارد الثعلب إلى المشهد الأخير في الحكاية الفرعية السادسة للباب السابع لاستئناف السَّرد ومواصلته في حكاية فرعية جديدة «وبالوهم يبلغ الشخص مراده، كما بلغ الحمار من الأسد ما أراده»[١١٠]. وبذلك يتهيأ السامع لاستقبال سردٍ جديد

لحكاية جديدة، يتم الانتقال إليها بواسطة حملة استئناف السَّرد: «فسأل ملك الآساد بيان حكاية أبي زياد»[١١١]. وبإذن الأسد للثعلب بسرد الحكاية الجديدة يتواصل السَّرد من جديد مع حكاية فرعية جديدة.

٧/٧ الحكاية الفرعية السابعة، حكاية الحمار والأسد:

ثم أتى السّارد الثعلب في هذه الحكاية الفرعية السابعة ضمن الحكاية الأم للباب السابع، وقدم أبا الحسين، ذا المفاخر ناصر، سارداً لهذه الحكاية الفرعية ليثبت أن بالحيلة والوهم يمكن هزيمة العدو والانتصار عليه: «فقال أبو الحصين: أخبرني أبو الحسين، ذو المفاخر ناصر، أنه كان في بعض الأعصار والمعاصر حمار في مدار...»[١١٢]. بينما تحول الثعلب إلى مخاطَب مستمع للحكاية، وملخص الحكاية أن حماراً كبر في السن وتعب من الكد، فتركه صاحبه في المراعي حتى سمن وبطر. وكان بنهيقه قد أخاف أسداً يسمى «الشبل بن المتأنس» الذي لم يسمع من قبل ذلك الصوت، والذي كان ابن أسد قُتل وتفرق جنده. وكان الشبل، كلما نهق الحمار، «غلب عليه الدهش، إلى أن كاد يموت من الجوع والعطش»[١١٣]. واقترب الشبل ذات يوم من عين الماء ليشرب، وقد بدت عليه علامات الخوف، وأبدى استياءه وقال للحمار: «إيش أنت، ولأي شيء ها هنا سكنت... فعلم الحمار أن الأسد قد خار فقال بجنان جري، وبيان قوي: أنا في هذا المكان، أفرق رزق الحيوان»[١١٤]. وبعد أن نال الأسد من الحمار الطعام والشراب طلب مكاناً يهجع فيه، فاصطحبه الحمار إلى مكانه، وفي الطريق وصلا إلى نهرٍ عميق «فقال الأسد الهصور، هذا الماء عميق، وكم فيه من غريق، فاحملني في الذهاب، وأنا أحملك في الإياب، فأجابه الحمار وحمله... فأنشب الأسد الأظفار، في كاهل الحمار وثقل عليه، فلم يتأثر له ولم يلتفت إليه، فزاد وهمه من الحمار»[١١٥]. وبعد ساعة ركب الحمار على الأسد «وأنشب في كاهله مسامير نعليه، فماج الأسد ومار، وقد أثرت فيه حوافر الحمار»[١١٦]، ثم بعد حوار بينهما قال الأسد للحمار: «اتركني لوجه الله وارفق بي رفقاً، وما أريد منك رزقاً، ودعني بالأمانة، ووفر الجراية على الخزانة، ولا رأيتك ولا رأيتني... فنزل الحمار عنه»[١١٧].

وهكذا سرد أبو الحسين الحكاية، فيما ظل الثعلب مستمعاً، ثم تبادل الحمار والأسد المواقع سارِدَيْن ومخاطَبَيْن داخل الحكاية الفرعية السابعة، وبعد سكوت السّارد أبى الحسين، أبى المفاخر ناصر وانتهائه من سرد الحكاية الفرعية السابعة رجع الثعلب وتحول، في عملية تبادل مواقع أيضاً مع أبي الحسين السّارد، إلى سارِدٍ

بعد أن كان مخاطَباً، فيما رجع الأسد الرئبال إلى موقعه القديم مخاطِباً. فقال الثعلب سارِداً الهدف من سرد هذه الحكاية: «وإنما صورت هذا النقش، لتعلم يا ملك الوحوش، أن الوهم يصدر كالسهم»(١١٨). ثم تابع الثعلب سرده مخاطباً الأسد: «والوهم غالب على الأفيال... وأما نحن بقوة الله وحوله ومساعدة نصره وطوله فقوتنا قاهرة قائمة... ولم يحصل منا خوف ولا خور... ففينا بحمد الله قوة لمصادمتهم، وقدرة لمقاومتهم، فامضِ لأمرك، فكأني بك وقد رجعت فائزاً بنصرك، مجبوراً بكسر عدوك، محبوراً بيسرك»(١١٩).

وتابع الثعلب سرده بعزم الأسد الرئبال على إرسال الذئب رسولاً إلى ملك الأفيال يبين له عدم جدوى القتال، والكف عن الحقد والحسد، وعدم التباهي بكبر الجسم، وعدم التعدي على الغير «فيصيبك مثل ما أصاب أصحاب الفيل»(١٢٠). ولما وصلت هذه الرسالة إلى ملك الأفيال استشاط غضباً، وخاطب قومه بأن يستعدوا للقتال والمقارعة.

وهنا تحول ملك الأفيال سارداً، بينما ظهر أتباعه وجنوده مخاطَبِين يتلقون الأوامر بصمت. ثم تابع السَّرد، بأنه عندما علم الأسد بما نواه ملك الأفيال من الحرب استشار الثعلب، الذي رأى الاستعداد للقتال بالعساكر الذين يجيدون «المصارعة والمقارعة، والمدافعة والممانعة، والمخاتلة والمخادعة،... والاحتيال والكيد، والاغتيال والصيد، والربوض في الكمين، والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين»(١٢١). ثم بدأ الأسد الرئبال بقيادة المعركة ضد ملك الأفيال المهاجم «فاقتفى رأي الأسد، والفكر الأسدّ أن يطلقوا ثغور المياه على البرية... فقدموا أمامهم الثعالب والكلاب،... وصَفُّوا وراءهم الذئاب والنمور والفهور والببور، ووقف الأسد بين الأسود، في قلب الجنود... ثم إن الثعالب ونظراءها، دخلت من الأفيال وراءها، وصارت تروغ بينها... فزاد حنقهم، وثار قلقهم، وتقدموا واصطدموا، وحطموا واضطرموا، وبنار الحرب اصطلموا، فناوشهم الببور البواسر، وهاوشهم النمور والجواسر، وهارشهم الأسود الكواسر، ثم ولّوا أمامهم مدبرين، وقصدوا الطرق المخفية عابرين، فتصور الأفايل أن جيش الأسد فر... ففي الحال ارتدموا، وفي الأوحال ارتطموا، وقطع دابر القوم الذين ظلموا، ثم كرت عليهم الأسود والنمور والفهود، وسائر السباع، والذئاب والضباع،... ومن بعد ما ظلموا انتصروا، وأظهر العدل للحق منارة، وظهر قوله عليه الصلاة والسلام «من آذى جاره ورّثه الله داره» والله لا يهدي القوم الظالمين»(١٢٢).

الحكاية: الأصل والمضمون

إن ثنائية السّارد والمخاطَب المكونان الأساسيان للبنية السَّردية لحكايات الحيوان الرمزية، وتأتي الحكايات كمكونٍ ثالث، إذ لا تتحقق وظيفة السّارد إلى بسرد متن حكائي خرافي، ولا تتحقق وظيفة المخاطَب إلا باستقبال هذا المتن الحكائي. إن عملية الإرسال/ التخريف/ السَّرد والتلقي هذه هي أساس البناء السَّردي للحكاية الخرافية على لسان الحيوان، لذا فإن سرد الحكاية هو جوهر البناء السَّردي هنا وليس الحكاية نفسها، ومن ثم تأتي الحكاية كمكوّنٍ ثالث في البناء السَّردي لحكايات الحيوان الرمزية الخرافية، كما تقدم، ومع ذلك لا بد من الكشف عن حقيقة الحكاية في «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء»، لأن هذا الكشف سيساعد على معرفة حقيقة السّارد وهويته وحقيقة المخاطَب وهويته أيضاً.

لقد اتضح أن الحكاية الإطارية الكبرى للكتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» هي حكاية ملك قيل مات وترك خمسة أولاد، تولى أكبرهم السلطة من بعده، ثم اختلف الإخوان فيما بينهم، وحدثت فتنة قرر على إثرها الأخ الأصغر الحكيم حسيب الاعتزال لتأليف كتاب، وبإيعاز من الوزير، طلب الأخ الأكبر الملك من أخيه مناظرة الوزير، فجلس الحكيم حسيب يسرد/ يحكي طيلة أبواب الكتاب العشرة قصصاً/ حكايات رمزية على لسان الحيوان، وظل الملك والوزير والعلماء والحضور يستمعون له، في محاولة من السارد إثبات علمه وفضله وتفوقه على الوزير وغيره. وما أن أنهى الحكيم حسيب سرده إلا ونهض الوزير وقبّل قدميه اعترافاً منه بعلمه وفضله وتفوقه، فيما طار الملك سروراً، واتخذ من أخيه الحكيم حسيب أميراً ووسيطاً، نجح في الإصلاح بين الإخوة والملك؟، الأخ الأكبر، وبذلك حصل الأمن والأمان، ثم أتت الحكاية الإطارية للباب السابع: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال، واحدةً من عشر حكايات/ أبواب في هذا الكتاب، وكما تقدم تتلخص حكاية هذا الباب في أن الحكيم حسيب سرد لأخيه الملك والوزير والحضور حكاية ملك الأفيال أبي دغفل أو أبي مزاحم، الذي طمع في أخذ مكان الأسد الرئبال والاستيلاء على أرضه، ولجأ ملك الأفيال إلى أخويه الوزيرين، فأشار

عليه المقبل بعدم الاعتداء على مال الغير والاكتفاء بما يملكه من أرضٍ وجندٍ وأتباع، فيما أشار عليه المدبر بالخلاص من الأسد ونزع ملكه من بين يديه، وعندما مال ملك الأفيال إلى رأي المدبر قام الأسد بمشاورة أتباعه من الوحوش والحيوانات، تبادلوا الرأي في كيفية التعامل مع هذا الظالم القادم بالشر، الذي رفض الصلح وأصر على الاستسلام أو الفرار وإلا فالحرب، عندها اختار الأسد وأتباعه الحرب والمواجهة، وكان لهم النصر وهزيمة العدو الظالم المعتدي على الغير.

ثم أتت داخل هذه الحكاية الإطارية للباب السابع سبعُ حكايات فرعية على لسان الحيوان، تفرعت من الحكاية الإطارية للباب نفسه. ويبقى السؤال: ما أصل هذه الحكاية؟

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: «ثم جاء ابن عربشاه (أحمد بن محمد بن عبدالله، المتوفى عام ٨٥٤هـ) ألّف (هكذا) كتاب: «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» على لسان الحيوان. وهو في الحقيقة ترجمة أدبية حرة لكتاب «مرزبان نامه» الذي دُوِّنَ في الأصل باللهجة الطبرتسانية في القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي، والذي ترجم – بعد – إلى الفارسية الحديثة؛ ترجمه إليها «سعد الدين وراويني» في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)... وعن «مرزبان نامه» ترجم ابن عربشاه كتابه السابق الذكر في أسلوبٍ أدبي يقرب من أسلوب «الواريني» في الفارسية – وابن عربشاه له كتاب آخر مترجم أيضاً يسمى «مرزبان نامه»، بسيط في أسلوبه، ولعله أقرب إلى الكتاب في لهجته الطبرستانية الأصلية التي لم يعد لها وجود اليوم»[١٢٣]. فما دقة هذا الرأي؟ وهل كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» ترجمة أدبية حرة لكتاب: «مرزبان نامه» كما ذكر الأستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال؟

لقد قام الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار في تقديمه لكتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» بمناقشة هذا الموضوع مناقشةً موضوعيةً تدل على درايةٍ حقيقةٍ وفهم دقيقٍ لطبيعة الحكايات الشعبية والقصص الرمزية على لسان الحيوان في الأدب العربي، فهي سائدة في الثقافتين الفارسية والعربية، وإن إعادة إنتاج حكايات مرزبان نامه وغيرها بروح عربية تلائم النظم السياسية والمعطيات الفكرية والسوسيولوجية لبيئة ابن عربشاه بصياغة سردية جديدة هو إبداع أدبي[١٢٤]. وقد أوضح الأستاذ الدكتور النجار أن ابن عربشاه قد أضاف بعض الأبواب إلى كتابه

«فاكهة الخلفاء» مثل قصة جنكيز خان التاريخية بالإضافة إلى إضافة كثير من القصص الفرعية العربية(١٢٥). وتأتي هذه الدراسة لتؤكد أن الباب السابع بحكايته الإطارية: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفلٍ سلطان الأفيال، هي حكاية عربية الوضع، وهي صياغة أدبية جميلة لأحداث حقيقية شهدتها بلاد الهند، عندما غزاها تيمورلنك، وأحداث حقيقية أخرى حدثت عندما غزا تيمورلنك بلاد الشام ولا سيما حلب ودمشق، حيث شهد ابن عربشاه أحداثها وأهوالها واكتوى بنارها، ولا سيما حريق دمشق وهو لم يزل صغيراً في الثانية عشرة من عمره. أما فكرة الباب السابع وشخصيتاه الرئيسيتان: الفيل والأسد فهي فكرة جديدة لم يأخذها ابن عربشاه من مرزبان نامه، بل استوحاها من قصة حقيقية حدثت لتيمورلنك في قتاله الوزير الهندي «ملو»، الذي تولى بلاد الهند بعد وفاة السلطان الهندي فيروز شاه سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م. وعند مطالعة كتاب عجائب المقدور في نوائب تيمور لأحمد بن محمد بن عربشاه صاحب كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» الذي نحن بصدده، يتضح ذلك، إذ يذكر ابن عربشاه في «عجائب المقدور» الذي ألّفه سنة ٨٤١هـ في القاهرة خبراً بعنوان: ذكر رجوع ذلك الكنود وقصده استخلاص بلاد الهنود، ملخصه أنه عندما توفي سلطان الهند فيروز شاه استولى وزيره «ملو» على مقاليد الحكم، ودخل في صراعٍ مع سارنك خان أخي الملك فيروز شاه، ثم لما علم بذلك تيمورلنك زحف بجيشه إلى مدينى «ملتان» الهندية، وهزم سارنك خان وساولى على المدينة، ثم زحف صوب «ملو» الذي استعد هو وجنده في مواجهة تيمورلنك «وقدموا الفيول لتنفير الخيول، وقد بنوا على كل فيل من الأتراس برجا، وعبؤوا في كل برجٍ من المقاتلين من يخشى في المضايق ويرجى،... وعلقوا عليها من القلاقل والأجراس الهائلة ما يدعو العفاريت إلى الفرار، وشدوا في خراطيمها سيوفاً...»(١٢٦)، ثم يتابع ابن عربشاه في «عجائب المقدور» الخبر تحت عنوان: ذكر ما فعله ذلك المحتال من الخديعة في أجفال الأفيال، إذ عمد تيمورلنك إلى الحيلة والمكيدة، فأمر جنده بنثر آلاف من الشوكات الحديدية مثلثة الأطراف في ساحة القتال، وعندما هجم جيش الهند داست الفيلة على تلك الشوكات وبركت على الأرض، وتظاهر جيش تيمورلنك بالهزيمة، «فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك إلى المقاسم، وأخذ ذلك الشوك في تقبيل أيديها وأرجلها وتثبت بتلك المناسم

وأحسّت قوائمها بشوكها، رجعت القهقرى بل وولت الأدبار لعدم عقلها»[١٢٧] ثم خرج على الفيلة كمين نصبه تيمورلنك لهم، الذي جهز بعد ذلك خمسمائة من الأباعر وحملوها قصباً مبللاً بالزيت «فلما تصافُّوا ولم يبق إلا القتال، أمر أن تطلق النيران في تلك الحشايا والأحمال، وتساق إلى جهة الأفيال، فلما أحسّت البعران، بحرارة النيران، رغت ورقصت ونحو الفيول شخصت... ولما رأت الفيلة النيران، وسمعت رغاء البعران... ألوت على عقبها ناكصة... وبعد المراشفة بالسهام وبالرماح تناقفوا ثم بالسيوف تضاربوا، ثم تلاتبوا وتواثبوا، ثم تراموا عن ظهور الخيل... ثم تناهى الاقتحام، وانفرج الازدحام... وحلّ بالهنود الويل... وانتهى عقد عملهم في المحاربة فحلّوا... وثبت تيمور وحكمه في هنده...»[١٢٨]. وتظل فكرة الحرب هذه بين تيمورلنك الذي استخدم الأباعر مع كثير من الحيوانات للقتال وحاكم الهند الذي استعان بالفيلة مسيطرة على الحكاية الإطارية الأم للباب السابع من أوله إلى آخره، مع تغييرٍ طفيفٍ إذ يجعل ابن عربشاه في «فاكهة الخلفاء» من الفيلة جنوداً مهاجمين ويمثلون تيمرولنك، فيما يجعل الأسد بدلاً من الأباعر، ويرمز به وببقية الحيوانات كالنمر والثعلب والذئب للعرب والمسلمين، ولا سيما أمراء ونواب وعلماء مدن الشام، وخاصة حلب ودمشق. كما جعل المكيدة هي إطلاق المياه على البرية[١٢٩] بدلاً من الشوكات الحديدية المثلثة وإشعال النار فوق الأباعر[١٣٠]، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت الحكاية الفرعية الأولى في الباب السابع من «مفاكهة الخلفاء» تتعلق بتيمورلنك ونائبه «الله داد» صراحة وهي بعنوان: قصة تيمورلنك، مع نائبه، وهي إعادة صياغة بطريقة سردية جميلة لأخبار طويلة تتعلق بنائب تيمورلنك في مدينة أشبارة المدعو «الله داد»، وقد جاءت في «عجائب المقدور» تحت عنوان: ذكر ما صنعه من أمر مروم وهو في بلاد الروم...[١٣١]. وكذلك في الحكاية الفرعية الثانية في الباب السابع في «مفاكهة الخلفاء» حكاية كسرى وموت ابنه، فعندما استقر رأي ملك الأفيال على رأي وزيره وأخيه المدبر في مهاجمة الأسد وقتاله هو وجنده بمشاورة أتباعه من الحيوانات كالنمر والثعلب والذئب، وهذه الحكاية هي أيضاً إعادة صياغة بطريقة سردية جميلة لخبر جاء في «عجائب المقدور» تحت عنوان: ذكر ما تمالأ عليه النواب وهم في حلب وتيمور في عين تاب[١٣٢]، حيث تشاور أهل حلب من الأمراء والنواب والعلماء، مثل الملك المؤيد أبي نصر شيخ بن عبدالله المحمودي الظاهري

المعروف بالخاصكي نائب طرابلس وتمرداش نائب حلب وسودون نائب الشام في أمر تيمورلنك القادم لقتالهم.

وهكذا نستطيع القول باطمئنان بأن الباب السابع من «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لابن عربشاه في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال، إنما هو من وضع ابن عربشاه، وقد استمد مضمون الحكاية من أحداث واقعية وحقيقية حصلت في زمنه، وكان إما مطلعاً عليها، كأحداث الحرب بين تيمورلنك وحاكم الهند، وإما شاهد عيان لأحداثها وأهوالها والمتعلقة بغزو تيمورلنك لبلاد الشام، ولا سيما حلب ودمشق موطن ابن عربشاه، حيث عايش تلك الأحداث سنة ٨٠٣هـ وهو لم يزل في الثانية عشرة من عمره. واستمرت تلك الصور والأحداث راسخةً في ذهنه حتى تم له وضعها بصياغة أدبية سردية جميلة في كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» في القاهرة في شهر صفر سنة ٨٥٢هـ. أما بعض الحكايات الفرعية في الباب السابع والحكايات المتفرعة عنها فهي إعادة صياغة، بطريقةٍ سردية جميلة خاصة بابن عربشاه، لحكايات شعبية سائدة بين أصحاب الثقافتين العربية والفراسية كما بيّن الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار سابقاً(١٣٣). وأخيراً يمكن تأكيد صدق تعبير ابن عربشاه ودقته حين قال في خطبة الكتاب: «ووضعت هذا الكتاب، نزهة لبني الآداب...»(١٣٤).

وبذلك يتضح أن ابن عربشاه قد عاش أحداثاً سياسية كبيرة في عصره، أو اطلع عليها، وتتلخص تلك الأحداث السياسية في إقدام تيمورلنك على نشر الظلم والقتل والدمار والخراب والاعتداء على بلاد الغير من المسلمين، خارجاً على كل القيم والأخلاق، محطماً كل مبادئ العدل، في زمن ضعف فيه العرب والمسلمون، ولم يستطع ابن عربشاه تأليف كتاب «عجائب المقدور في فظائع تيمور» إلا سنة ٨٤١هـ وهو في القاهرة، عندما شعر بالأمان، بعيداً عن أرض أتباع تيمورلنك، كما لم يستطع وضع كتابه الآخر «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» إلا وهو في القاهرة، وعندما شعر بالأمان أيضاً، سنة ٨٥٢هـ بعيداً عن سلطة تيمورلنك، وقبل سنتين من وفاته، وكأنه بذلك يحقق ما يمليه عليه الواجب، وقد تجاوز الستين من العمر، في رفع الصوت لجميع العرب والمسلمين، الحاكمين والمحكومين، لتنبيههم لما آلت إليه الأوضاع السياسية من ضعف في بلاد العرب والمسلمين. ولذلك وضع كتابه «فاكهة

الخلفاء» على لسان الحيوان ليرمز به عن مضامين سياسية كبيرة. وفي الباب السابع من «فاكهة الخلفاء» كان ملك الأفيال رمزاً لتيمورلنك، وبقية الفيلة رمزاً لجنده وأتباعه، أما الأسد فكان رمزاً للحاكم العربي المسلم، ولا سيما حكام حلب ودمشق وطرابلس من النواب والأمراء، أما بقية الحيوانات كالنمر والثعلب والذئب فكانت رموزاً للأعيان والعلماء من أهل المدن الشامية الذين تصدوا لتيمورلنك، ولقد وُفِّقَ ابن عربشاه بأن جعل الفيلة رمزاً لتيمورلنك وجنده، لاعتماده على قوة البدن لا العقل، كما كان موفقاً في جعله الأسد رمزاً للحاكم العربي المسلم لحب العربي القديم للاتصاف بصفات الأسد ملك الغاب، وموفقاً أيضاً بجعل النمر والثعلب والذئب رموزاً للعربو المسلمين أتباع الأسد وجنده.

فإذا كانت الحكاية الإطارية للباب السابع ذات أبعادٍ رمزية وتشير إلى ذلك الصراع السياسي للقضاء على الأمة العربية والإسلامية فمن عساه يكون السّارد وما هويته؟ ومن عساه يكون المخاطَب وما هويته أيضاً؟

السّارد والمخاطَب

تقدَّم أن الحكايات الرمزية على لسان الحيوان تقوم على ثنائية السارد والمخاطَب، فيما تأتي الحكاية في المرتبة الثالثة، وهنا يمكن الدخول في تفاصيل أكثر دقة لثنائية السّارد والمخاطَب ودورهما في البناء السَّردي لـ «فاكهة الخلفاء» وعلى التحديد للباب السابع منه، ولما كانت تلك الثنائية تعتمد بشكل كبير على تبادل المواقع بين السادر والمخاطَب فقد أصبح من الصعب دراسة كل منهما على حدة، إذ أصبحت تلك الثنائية تُشَكِّلُ بنيةً سرديةً متشابكةً ومتداخلةً بشكلٍ كبيرٍ جداً.

إن السّارد والمخاطَب هنا يشكِّلُ المكوِّنَ الأول والأهم في البناء السردي للباب السابع خاصة، وللكتاب بأبوابه العشرة عامة، ويقوم بعدة وظائف فنية في ذلك البناء. وكما كانت الحكايةُ متفرعةً ومتشابكةً ومتداخلةً ولها القدرة على خلق حكايات فرعية كثيرة فإن السارد ربما يكون أكثر تعقيداً وتفرعاً وتشابكاً وتداخلاً لطبيعة الوظائف الفنية التي يقوم بها في البناء السردي لحكايات الحيوان الرمزية، وكذلك الحال بالنسبة للمخاطَب. ومع بداية كل باب من أبواب «فاكهة الخلفاء» العشرة يظهر الراوي ليؤدي وظيفته الفنية في استئناف السَّرد في حكاية جديدة/ باب جديد، فيمهد للحكاية الجديدة، ويرسم ملامحها وموضوعها، ويقدم السّارد والمخاطَب ثم يختفي صامتاً يستمع: «قال الشيخ أبو المحاسن... فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه... وكان قد وقع بين ملك الأفيال، وبين ملك الأسود المسمى بالرئبال... مقال أدى إلى جدال، واتصل بحرب وقتال. فسأل الملك أخاه، هل سمع من ذلك شيئاً ووعاه. فأجاب بالإيجاب، وذكر في الجواب، الأمر العجاب، فقال...»[١٣٥]. وهكذا يستأنف الراوي الشيخ أبو المحاسن السَّرد في حكايةٍ جديدةٍ ثم يختفي تاركاً السّارد الحكيم حسيب، يتولى مهمة سرد الحكاية الإطارية للباب السابع.

والحقيقة أن الحكيم حسيب يلعب دور السّارد للحكاية الإطارية الكبرى لـ «فاكهة الخلفاء»، بما فيها الباب السابع، فيما يلعب الملك، وهو الأخر الأكبر للحكيم حسيب، دور المخاطَب.

وعند سرد الحكيم حسيب الحكاية الإطارية للباب السابع وهي حكاية الفيل

والأسد، يظهر ملك الأفيال، أبو مزاحم أو أبو دغفل، ليقدم وزيريه وأخويه: المقبل والمدبر/ السارد والمخاطَب، وفي الوقت الذي يكون فيه المقبل سارداً يكون المدبر مخاطباً، ومعه ملك الأفيال مخاطَباً أيضاً، وعند تبادل المواقع يكون المدبر سارداً والمقبل مخاطباً، ومعه ملك الأفيال مخاطَباً أيضاً، وفي حال ظهور ملك الأفيال سارداً يكون الوزيران المقبل والمدبر مخاطَبَيْنِ.

ثم تتعقد الثنائية السَّردية عند الدخول إلى الحكايات الفرعية للباب السابع كما يلي:

١/٧ قصة تيمورلنك مع نائبه:

ففي الحكاية الفرعية الأولى يتم تبادل المواقع بين السادر والمخاطَب هكذا:

١ – المدبر سارد وملك الأفيال مخاطَب.

٢ – ملك الأفيال سارد (سؤال) والمقبل مخاطَب.

٣ – المقبل سارد وملك الأفيال مخاطَب.

٤ – ملك الأفيال سارد (سؤال) والمقبل مخاطَب.

٢/٧ حكاية كسرى وموت ابنه:

وفي الحكاية الفرعية الثانية تتعقد نثنائية السّارد والمخاطَب بشكل أكبر، لظهور حكايات فرعية داخل الحكاية الفرعية الثانية هكذا:

١ – المقبل سارد وملك الأفيال مخاطَب.

٢ – البهلول سارد وكسرى مخاطَب (تبادل مواقع سريع لبَطَلَيْ الحكاية).

٣ – عيسى، عليه السلام، سارد (لحكاية فرعية داخل الحكاية الفرعية) والحواريون مخاطَبون.

٤ – يرجع بهلول سارداً وكسرى مخاطَباً (تبادل مواقع سريع).

٥ – المقبل سارد وملك الأفيال مخاطَب.

٦ – المدبر سارد وملك الأفيال مخاطَب.

٧ – الغراب سارد والأسد مخاطَب.

٨ – الأسد سارد والغراب وبقية الحيوانات مخاطَبين.

٩ – الذئب أبو الأشبال سارد والأسد مخاطَب.

٣/٧ حكاية الملك المعزول مع المُنَجِّم:

يستمر مضمون الحكاية الفرعية الثانية، فيستمر السارد والمخاطَب هكذا:

١ – الأسد سارد والذئب مخاطَب.

٢ – الملك المعزول سارد والمُنَجِّم مخاطَب(تبادل مواقع سريع لبَطَلَيِ الحكاية).

٣ – الأسد سارد والذئب مخاطَب.

٤ – الأسد سارد والنمر مخاطَب.

٥ – الأسد سارد والذئب مخاطَب.

٦ – الأسد سارد والثعلب مخاطَب.

٤/٧ حكاية القط والصياد:

ولما رجحت كفة رأي الثعلب يتابع سرده في إقناع الأسد، فيستمر سارداً فيما يظل الأسد مخاطَباً.

٥/٧ حكاية الجمل والجمّال:

ويستمر السَّرد لحكايةٍ جديدةٍ فيكون وضع السّارد والمخاطَب كما يلي:

١ – الثعلب سارد والأسد مخاطَب.

٢ – الأرنب سارد والجمل مخاطَب (تبادل مواقع لبَطَلَيْ الحكاية).

٣ – ثم يرجع الثعلب سارداً والأسد مخاطَباً.

٦/٧ حكاية الفارة مع رئيس الحارة:

يكون وضع السّارد والمخاطَب كما يلي:

١ – يستمر الثعلب سارداً والأسد مخاطَباً.

٢ – الفأر الضيف سارد والفأرة مخاطَب (تبادل سريع لبَطَلَيْن في الحكاية).

٣ – العقرب سارد والفأرة مخاطَب (تبادل مواقع سريع لبَطَلَيْن في الحكاية).

٤ – الثعلب سارد والأسد مخاطَب.

٧/٧ حكاية الحمار والأسد:

يكون وضع السّارد والمخاطَب كما يلي:

١ – وهنا يستمر الثعلب سارداً والأسد مخاطَباً أيضاً.

٢ – يظهر أبو الحسين، ذو المفاخر ناصر، سارداً فيما يتحول الثعلب مخاطَباً.

٣ – الحمار سارد والأسد مخاطَب (تبادل مواقع سريع لبَطَلَيْن في الحكاية).

وهكذا تظل ثنائية السارد والمخاطَب، وتشابك العلاقة وتبادل المواقع بينهما، ويبقى على رغم ذلك البناء السَّردي قوياً، أساسه سارد الحكاية الإطارية للباب وهو الحكيم حسيب والمخاطَب الملك الأخ الأكبر للحكيم حسيب، حيث يشكلان إطاراً صارماً وقوياً للبناء السَّردي، بما يحفظ الحكاية الإطارية نفسها من ناحية والحكايات الفرعية بداخلها من ناحيةٍ ثانية، وخارج هذا الإطار العام يبقى أحمد بن محمد بن عربشاه السادر الحقيقي ويبقى العربي والمسلم، المواطن والحاكم في زمن ابن عربشاه مخاطَباً بشكل خاص كما قال: «ووضعت هذا الكتاب نزهةً لبني الآداب، وعمدةً لأولي الألباب، من الملوك والنواب، والأمراء والحجاب..»[١٣٦] هذا من ناحية، كما يبقى المثقف العربي والمسلم في كل الأزمنة والأمكنة مخاطَباً بشكلٍ عام من ناحية ثانية.

وهنا يمكن تسجيل جملة من الملحوظات على الطبيعة الفنية السَّردية لثنائية السادرو المخاطَب في الباب السابع من «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء».

فالسّارد لا ينهض بمهمته السردية إلا بوجود مخاطَب يسرد له/ يحكي له، كما أن المخاطَب لا يستطيع أن ينهض بمهمته السَّردية أيضاً إلا بوجود سارد يبستمع لسرده/ حكايته، وبذلك تكون ثنائيةُ الإرسال والتلقي أو السَّرد والاستماع أساس البناء السَّردي، فيما تأتي الحكاية المسرودة في المرتبة الثالثة لتكمل المكونات الرئيسية الثلاث للبنية السَّردية، وسنحاول فصل السّارد عن المخاطَب قسراً لتسجيل بعض الملحوظات الفنية عليهما.

أ – ملاحظات على السارد:

١ – يملك السّارد قدرة فنية كبيرة على خلق المخاطَب ليسرد له/ يحكي له، وهي قدرة كامنة وملازمة للسارد، وتشكل جزءاً كبيراً وأساسياً في طبيعته

السردية، فأينما يوجد السارد يوجد المخاطَب، وقد بدا هذا واضحاً في جميع الحكايات الفرعية.

٢ – كما يملك السارد قدرة على خلق سارد جديد يسلمه الراية ليكمل السرد في حكاية فرعية جديدة، في إطار الحكاية الإطارية للكتاب أو الباب، كما فعل ملك الأفيال مع أخويه الوزيرين: المقبل والمدبر.

٣ – ويملك السارد أيضاً قدرةً على خلق حكاية جديدة فرعية منبثقة من الحكاية الأم أو من الحكاية الفرعية فيها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يقوم السارد بخلق ساردٍ ومخاطَبٍ لتلك الحكاية الجديدة ، كما في الحكايات السبع الفرعية في الباب السابع.

٤ – عادةً ما يكون السارد واحداً يتولى مهمة سرد الحكاية، فيما يكون المخاطَب واحداً في بعض الأحيان، وأكثر من واحد في كثير من الأحيان، وعندما كان الحكيم حسيب سارداً لأبواب الكتاب كلها كان المخاطَبين: الملك والوزير والأعيان والعلماء... إلخ.

٥ – ومن أبرز الملاحظات المهمة هنا تبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب، فبعد أن ينهي السّارد سرده سرعان ما يتحول إلى مخاطَب، فيما يتحول المخاطَب إلى سارد، ولا شكَّ أن الطبيعة السَّردية تستلزم ذلك لاستمرار السّرد عن طريق الحوار أو طرح الأسئلة أو الاستماع إلى حكاياتٍ فرعيةٍ جديدةٍ، وما أن تحقق عملية تبادل المواقع وظيفتها الفنية في استمرار السّرد وتواصله حتى يعود المخاطَب سارداً والسّارد مخاطَباً كما كانا، وقد بدا ذلك واضحاً في الحكايات السبع للباب السابع.

٦ – وقد لوحظ فيما تقدم أن السّارد يتفاوت دوره من حيث السّرد طولاً وقصراً، حسب الحكاية ومضمونها ووظيفتها الفنية، فبينما يطور سرد السّارد الأصلي في الحكاية الفرعية نلاحظ أن دور السّارد الذي كان مخاطَباً قصير، فهو يؤدي وظيفةً فنيةً محددةً ليعود السّارد الأصلي ليلعب دوره، كالأسد والثعلب في الحكايات الفرعية ٣/٧ و٤/٧ و٥/٧ و٦/٧.

٧ – إن السُّرّادَ، في الحكايات الفرعية داخل الحكاية الإطارية الأم للباب، سرعان ما

ينتهون ويختفون نهائياً بعد أداء الوظيفة الفنية التي وُجدوا من أجلها، ليعود السّارد الأصلي للعب دوره، كما هو الحال مع البهلول وعيسى عليه السلام والغراب في ٢/٧، والفأر الضيف والعقرب في ٦/٧.

٨ – يقوم السّارد من خلال جملة استئناف السَّرد في نهاية الحكاية الفرعية بالإيذان ببداية سردٍ جديدٍ في حكايةٍ فرعيةٍ جديدةٍ، وهذه سمةٌ أساسيةٌ في بناء الحكاية السَّردي.

٩ – ينهض السّارد من جديد في الحكاية الفرعية الجديدة؛ ليقوم بوظيفته الفنية السَّردية برسم فضاء الحكاية، ويدشن لبداية السَّرد الجديد، وهذا ما حصل في جميع الحكايات الفرعية للباب السابع.

١٠– كما ينهض السّارد بوظيفةٍ أخرى، تكمن في الإيذان ببداية حكاية فرعية قصيرة داخل الحكاية الفرعية للباب، كما في حكاية عيسى عليه السلام وحواريه في الحكاية ٢/٧.

١١– كما لوحظ أن السّارد، عند تحوله إلى مخاطَب، يلتزم الصمت طيلة فترة تلقي الحكاية من السّارد، الذي كان مخاطَباً، كما حصل مع المقبل والمدبر وملك الأفيال.

١٢– يستجيب السّارد دائماً، عن طيب خاطر، لطلب المخاطَب/ السّارد ويجيب عن أسئلته برحابة صدر، دون غضبٍ أو انفعال.

١٣– وأخيراً فإن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق السّارد في الحكاية، فهو يقوم بصناعة النص السَّردي وتنميقه ووضعه في إطاره السردي.

ب – ملاحظات على المخاطَب:

١ – إذا كان المخاطَب لا ينهض بمهمته السَّردية إلا بوجود ساردٍ يسرد له/ يحكي له فإن السّارد لا ينهض هو أيضاً بمهمته السَّردية إلا بوجود مخاطَب يستمع له/ يستقبل ذلك الحكي، وبذلك تبقى ثنائية السّارد والمخاطَب كمكوِّنَيْنِ رئيسيَّيْنِ في بناء الحكاية السَّردي.

٢ – ونظراً لطبيعة تلك الثنائية فإن السّارد قد يتحول إلى مخاطَب، فيما يتحول المخاطَب إلى سارد، وقد بدا ذلك واضحاً فيما تقدَّم عند عرض حكايات الباب السابع الفرعية.

٣ – إذا سكت السّارد، وأنهى سرده للحكاية يختفي المخاطَب تلقائياً، إذ لا حكايةَ يستقبلها بعد نهاية السَّرد.

٤ – وعند تحول المخاطَب إلى سارد، داخل الحكاية الفرعية، يكون دوره قصيراً، وقد لا يتعدى طرح سؤال ليعود بعدها مخاطَباً.

٥ – وقد يكون المخاطَب، في استقبال حكاية السّارد، أكثر من واحد، يتلقون الحكاية كمخاطبين بصمتٍ بالغ، كما هو الحال في سرد الحكيم حسيب، فيما ظل الملك والوزير والأعيان والعلماء مخاطَبين، وفي الحكاية الفرعية ٣/٧ عندما ظل الذئب والنمر والثعلب مخاطَبين يستمعون للسّارد الأسد.

٦ – وقد يبرز من مجموع المخاطبين واحد منهم ليتحول إلى سارد، فيما يظل الآخرون مخاطَبين، ثم يرجع إلى مكانه كمخاطَب لينهض آخرُ من المخاطَبين كسارد، وهكذا، كما في الحكاية الفرعية ٣/٧ أيضاً.

٧ – يتصف المخاطَب دائماً بالأدب واحترام الرأي الآخر وتقبله برحابةِ صدر، وإن كان يرى عكسه، كما هو الحال عند المقبل عندما كان مخاطَباً يستمع لرأي المدبر، وكما هو الحال عند المدبر عندما كان مخاطَباً يستمع لرأي المقبل أيضاً، وكما هو الحال بين الحيوانات: الذئب والثعلب والنمر مع الأسد في الحكاية ٣/٧ أيضاً.

٨ – كما يتصف المخاطَب أيضاً بحُسْنِ الفهم وحُسْنِ الاستيعاب وحسن الرد لبيان رأيه، فهو لا يُسَفِّه الرأيَ الآخرَ بل يحاججه بالعقل.

٩ – وقد لوحظَ أن المخاطَبَ في الكتاب «فاكهة الخلفاء» هو الملك، وأن المخاطَبَ في الباب السابع هو ملك الأفيال، مع تبادل المواقع مع السّارد، وهذا ليس بجديدٍ فالمخاطَب في «ألف ليلة وليلة» هو شهريار الملك، وفي «كليلة ودمنة» دبشليم الملك أيضاً.

اللغة والأسلوب السَّردي

استطاع ابن عربشاه في الباب السابع، وبقية أبواب الكتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء»، أن يضع الحكاية الإطارية، وجميع الحكايات الفرعية التي بداخلها، بأسلوبٍ سرديٍّ جميل، ولغةٍ عذبةٍ أساسها الصنعة البديعية الذائعة في العصر المملوكي، القائمة على استخدام المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية(١٣٧).

ولقد وضع ابن عربشاه حكاية الباب السابع، وقد ظهر تأثره البالغ بالقصص القرآني، ولا سيما تلك القصص الخاصة بالحيوان، وبالحديث النبوي، وباستخدام الشعر والمثل العربي والحكمة ومصطلحات العلوم وغيرها(١٣٨).

ولقد ساد في عصر ابن عربشاه أسلوب النثر المصنوع، المعتمد على الجناس والسجع وغير ذلك من فنون الصناعة اللفظية، وعلى الرغم من التحذير من طغيان الاهتمام باللفظ على حساب المعنى فإن ابن عربشاه استطاع بنجاح كبير أن يحافظ على المعنى والمضمون الحكائي السياسي في حكاياته بأسلوبه النثري المصنوع، موازناً بذلك بين اللفظ والمعنى؛ فإن جمال السَّرد في حكاياته والتدفُّقيَّة فيه لم يجعلاه يهمل المضمون الحكائي، كما أن قيمة ذلك المضمون الحكائي وأهدافه السياسية والفكرية لم تدفعه ليقع في مخاطر الحرص على الجناس والسجع المصنوع بشكل متكلِّفٍ، فكان موفَّقاً في لفظه وفي معانيه.

وقد اعتنى ابن عربشاه عناية كبيرة بالسجع فوضع كتابه كله، من أوله إلى آخره، مسجوعاً. وتفنَّن في استخدام كثير من أنواع السجع، كالسجع المطرَّف مثلاً في قوله: «فاعلم أيها الوزير، الفاضل الكبير، أُن الأسد ملكٌ كاسر، وعلى سفك الدماء جاسر، وأن في رعيته من آذاه وأنكاه في ذويه وأبكاه»(١٣٩)، وكقوله: «إنهم إذا اعتنوا بشخصٍ ملّكوه، واتبعوا طريق أمره وسلكوه، وبذلوا في طاعته ما ملكوه، فإذا أرادوا عزله تركوه، ونشزوا عنه وفركوه، وأهملوا إحسانه وفذلكوه...»(١٤٠). كما استخدم السجع المتوازي كقوله: «وأول ما تملك على الدنيا، وإلى هذا اليوم، لم يزل القوم من الملوك في رَوْم، وطلب الزيادة والسَّوْمو ولا عتبَ في ذلك ولا لَوْم...»(١٤١). واستخدم السجع المتوازن كقوله: «ودونك يا ذا الحشمة، والوافر الحرمة، ما قاله العاشق العالي

الهمة...»[١٤٢]. وكذلك السجع المرصع كقوله: «فعند مفارقة العيش، وحلول الخفة والطيش، هل يدفع عنه ذاك شراً، أو يرفع بؤساً وضراً، أو يجلب له منفعة، أو يذهب من ذلك شيء معه، أو يفيد أدنى فائدة، أو يعود عليه منه فائدة، قال: لا. قال: فلا تأسَ على معاش، يكون عقبى أمره إلى لاش...»[١٤٣]. كما استخدم السجع القصير والطويل. فالقصير مثل: «فأجاب بالإيجاب، وذكر في الجواب، الأمر العجاب»[١٤٤]. أما الطويل فكقوله: «ويكون سعيه كالشكر يطلب المزيد، وكما يستديم طلب الزيادة، من مولاه يستديم زيادة العبيد...»[١٤٥].

واستخدم ابن عربشاه الجناس بأشكاله المختلفة أيضاً، مثل الجناس التام كقوله: «وعاين عين ذلك الإقليم بالعين...»[١٤٦]، وكقوله: «إلى أن آل حالُ الجمل إلى الهزال، وزال نشاطه وحال...»[١٤٧]، وكقوله: «فلما توسَّط الماءَ بَرَك، وتغافل عنه صاحبه وتَرَك، فتشرَّب الصوفُ نم الماءِ ما يملأُ البِرَك...»[١٤٨]. واستخدم الجناس المركب بأنواعه كالجناس المتشابه في قوله: «استبعد حلول تلفه، بل أحال وفاته، وأذهله عن درك الحق وفاته...»[١٤٩]، وكالجناس المحرف في قوله: «وتناكص المَدَد والمُدَد»[١٥٠]، وقوله: «وكثرة الشوكة والعُدد، وإمداد العَدد والمدد»[١٥١]، وكقوله: «له على خَصْمِه، في مجادلته وخَصْمَه»[١٥٢]، وقوله: «بل ولا تعرضنا لأحدٍ في مَلْكه ومُلْكه»[١٥٣]. كما استخدم الجناس المصحّف كقوله: «وقدمت الثعالب ثعلباً لطيف الروغان، ظريف الزوغان»[١٥٤]، وكقوله: «ويردني إلى سرير السرور ويعيد»[١٥٥]، وكقوله: «ومنجداه في أحوال السرور والشرور»[١٥٦]، وكقوله: «فأعدوا لكل نائبةٍ نابا، ولكل نائغةٍ بابا»[١٥٧]. كما استخدم الجناس الناقص كقوله: «ويتثبت في صدر هذا المورد المضيق، وما فيه من مجالٍ أو ضيق»[١٥٨]. واستعمل جناس العكس كقوله: «ولا نعرف طريق بلادهم، ولا طريقة جدالهم وجلادهم»[١٥٩]، وقوله: «وأن يجيل قداح التدبر، والتبصر والتصبر»[١٦٠].

واستخدم ابن عربشاه الطباق بشكل كبير أيضاً كقوله: «وهما ملازمان الخدمة، واقفان في مقام الحشمة والحرمة، كالفتق والرتق، والباطل والحق، والكذب والصدق. وفي الإفساد والإصلاح، كالمرهم والجراح، ومصلح الدرهم ومفسد الراح، ومرشد العقل وامعتل الأقداح، وفي الوفاق والشقاق، كالسم والترياق، وفي الحكم والقضاء، كالدّاء والدواء، وفيما يقع من الحوادق، المفرحات والكوارث، كالحر والبرد، والشوك والورد...»[١٦١]، وهذه من أطول الفقرات التي امتلأت بالطباق الجميل.

كما استخدم التنظير أيضاً كقوله: طويل الخرطوم، واسع الحلقوم، مبسوط الأذنين، حديد العينين...»[١٦٢]، وكقوله: «كأبي حفص الصعب، ملك كبير عادل، وسلطان خطير فاضل، مطاع في صاغيته، متبوع في حاشيته، عادل في رعيته، سيرته مشكورة، ومحاسنه مأثورة، وهيبته وبسالته غير منكورة...»[١٦٣].

وعلى الرغم من التعقيد الظاهر على تلك المصطلحات البديعية فإن ابن عربشاه استخدم كل تلك الجناسات والأسجاع بشكل ناجح وجميل، وخفيف على الأذن. وإضافة إلى ما تقدم فقد استخدم ابن عربشاه التشخيص كقوله: «ويتشبث بذيل سنتنا من الجماعة»[١٦٤]، وكقوله: «وبات يصارع القضاء والقدر»[١٦٥]، وكقوله: «وقبل أن يكشر الشر نابه»[١٦٦].

أما التورية فقد اهتم بها ابن عربشاه اهتماماً كبيراً كقوله: «فأخشى أن لا تتم هذه الأمور، وتقصر حبالنا عن مصادمة ما لهم من قصور»[١٦٧]، وقوله: «فلا يمكنه التحول عن طريقنا، ولا التحمل لرعودنا وبروقنا»[١٦٨]، وكقوله: «ولا يفيدك الندم، وقد زلت بك القدم»[١٦٩].

ولجأ ابن عربشاه أيضاً إلى فن التوجيه وهو الاقتراض من ألفاظ المصطلحات والعلوم وأسماء الكتب في صياغته الأسلوبية كقوله في إشارة خفيَّةٍ وجميلةٍ لكتاب البداية والنهاية: «ولهم في بداية الحروب هداية، وفقاهة ليس لشرحها غاية، ولا لفروع أصولها نهاية»[١٧٠]، وكقوله مشيراً إلى كتاب المسالك والممالك: «منها أنه يبين له أوضاع تلك الممالك، ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك»[١٧١]، وما أجمل إشارته إلى كتاب المختلف والمؤتلف: «فإنهم أجناسٌ مختلفة، وطوائف غير مؤتلفة»[١٧٢].

كما أشار إلى كثير من المصطلحات النحوية والصرفية والعروضية كقوله: «فقد أقام الأسد في تلك الأماكن، وهو وإن كان متحركاً فهو فيها ساكن»[١٧٣]، وكقوله: «ويعيدون في مدارس الحرب بتكرار الضرب»[١٧٤]، وكقوله: «واعلم أيها الملك وقاك الله شر المنهمك»[١٧٥].

وقد استطاع ابن عربشاه أيضاً أن يقتبس كثيراً من الآيات القرآنية ويضمنها أسلوبه النثري المقفى الجميل كقوله: «فهناك يجدح سويق أفعاله ما يزيغه، فيحسوه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه»[١٧٦]، وكقوله: «ونحن ما اعتدينا عليهم، ولا تقدمنا بالظلم

إليهم، فسيرد الله كيدهم في نحرهم»[١٧٧]، وكقوله: «ولا شك أنهم أتقنوا أمرهم، وأخذوا أسلحتهم وحذرهم»[١٧٨]، وكقوله: «فبينما هم في غفلتهم ذاهلون، جاءهم بأسنا بياتا وهم قائلون»[١٧٩]، وكقوله: «وعمد إلى عهن منفوش، وغير في مقامرته شكل النقوش»[١٨٠]، وكقوله: «فلقد أتاك عسكر القضاء وبنوده، وليحطمنكم سليمان الأفيال وجنوده»[١٨١]، وكقوله: «فإن هؤلاء اعتدوا على ولايته وأتوها، فسينزل الله تعالى عليهم جنوداً لم يروها»[١٨٢].

كما اقتبس أيضاً كثيراً من الأحاديث النبوية وأعاد صياغتها بأسلوبه الرصين كقوله: «وإذا كان للشخص ما يكفيه، فينبغي أن يقتصر عما يطغيه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه...»[١٨٣].

كما استخدم ابن عربشاه أقوال الحكماء كقوله: «وقد قالت الحكماء...: «لا تستحقر السقم والنوم والدين والعدو والنار»[١٨٤]. وإضافة إلى ذلك كله استشهد ابن عربشاه بكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية. كما استشهد بالأمثال العربية مثل: «والدر يقطعه جفاء الحالب»[١٨٥]، ومثل: «إن خير الأموال، ما أذخر لدفع البؤس، ووقيت بنفائسه النفوس»[١٨٦]. كما استخدم ابن عربشاه بعض الألفاظ والأساليب العامية كقوله: «لكن الكل كلاب أولاد كلاب»[١٨٧]، وكقوله: «فبدر من الأسد صرخه، اتبعها من بوله شخّه، وقال للحمار: إيش أنت، ولأي شيءٍ ها ها سكنت؟»[١٨٨]، هذا بجانب الاستشهاد بكثير من أبيات الشعر من نَظْمِهِ ومن غير نَظْمِه.

وهكذا فإن ابن عربشاه تأثر بروح الكتابات في عصر المملوكي، حيث شاع فيه مذهب التصنع في الكتابة، وجاء كتابه «فاكهة الخلفاء» بأسلوب النثر المصنوع فوظف كثيراً من فنون البديع، وتأثر بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والحكم والأمثال، والمصطلحات النحوية والعروضية، وأسماء الكتب، ووضع ذلك كله بأسلوبه الرصين، الذي لم يظهر فيه التكلف أو الإسفاف أو الابتذال، وبِلُغَةٍ حيَّةٍ عذبة، سرد بها حكايات الكتاب كلها لا الباب السابع فحسب.

الوسائل والأدوات الفنية لاستمرار السَّـرد

إن وضع كل تلك الحكايات الفرعية داخل الباب السابع، والحكايات المتفرعة منها، إضافة إلى بقية أبواب الكتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لا شك أنها عملية صعبة جدا، كما أن توظيف هذا الكم الكبير من الفنون البديعية داخل ذلك النص الحكائي السَّردي يجعل من الأمر أكثر صعوبة. فإنْ ركَّزَ الكاتب على المضمون الحكائي والمقاصد السياسية والفكرية فيه فقد يكون ذلك على حساب الشكل والأسلوب واللغة، وإن ركَّزَ على الشكل والأسلوب واللغة فقد يكون فيه إخلال بالمضمون الحكائي، إنَّ عملية التوازن بين الشكل والمضمون أو الوظيفة الإبلاغية السياسية والوظيفة الإمتاعية السَّردية للكتاب تجعل من أمر الكتابة أكثر تعقيداً، غير أن ابن عربشاه قد نجح إلى حدٍّ كبير جداً في إيجاد ذلك التوازن، وتحقيق الغايتين معاً. وقد ساعده على ذلك الوسائل والأدوات الفنية لاستمرار السَّرد وتناميه، عبر سلسلة طويلة من حكي/ سرد حكايات داخل حكايات، ولعل أبرز تلك الوسائل والأدوات الفنية ما يلي:

١ – المشهد الأخير في الحكاية الفرعية داخل الباب، يساعد كثيراً على استئناف سرد جديد، ويهيئ المخاطَب للاستعداد لتلقي متن حكائي سردي جديد، كقوله في نهاية الحكاية الفرعية الأولى للباب السابع: «وإلا فمثل الذي يعلق به فؤاده، ويربط بدوامه وبقائه اعتقاده، ويتصور ذلك بفكره الفاسد، ونظره الكاسد، كمثل كسرى لما مات ولده، وتفتت عليه كبده، وحصل له عليه الاضطراب، ورده عن خطئه البهلول إلى الصواب»[١٨٩].

٢ – جملة استئناف السَّرد بآخر الحكاية الفرعية للباب تأتي بعد المشهد الأخير في الحكاية الفرعية، لتنقل المخاطَب إلى سردٍ جديد، مع حكاية فرعية جديدة، كقوله قبل الدخول إلى الحكايات الفرعية: «فسأل أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضية، وإيضاحها عن جلية»[١٩٠]، وقوله في ٧/ ١: «فسأل أبو الحجاج، أخاه المحجاج، عن بيان هذا الأمر، وكيفية إطفاء هذه الجمر»[١٩١]، وقوله في ٧/ ٢: «فسأل أبو الأشبال، سرد هذا المثال»[١٩٢]،

وقوله في ٧/ ٣: «فسأل أبو الحارث، عن بيان هذا الحادث»[١٩٣]، وقوله في ٧/ ٤: «فقال الرئبال: هات يا أبا التُّرَّهات، أخبرنا يا أبا نوفل، أخبار الجمل المغفل»[١٩٤]، وقوله في ٧/ ٥: «فسأل حيدرة، عن تلك المأثرة»[١٩٥]، وقوله في ٧/ ٦: «فسأل ملك الآساد، بيان حكاية أبي زياد»[١٩٦]. إن صيغة الطلب/ السؤال هذه قد حققت وظيفتها الفنية في تنامي السَّرد واستمراره مترابطاً، ورابطاً للحكايات الفرعية للباب، في إطار الحكاية الإطارية الكبرى للكتاب.

٣ – بعد سرد الحكاية الفرعية في الباب، وقبل الوصول إلى المشهد الأخير في الحكاية الفرعية تأتي عبارة مواصلة السَّرد على لسان السّارد الرئيسي للحكاية الفرعية، لمتابعة الحوار وتبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب كقوله في ٧/ ١: «وإنما أوردت هذه القضية، ليقف سامعها على مقدار الهمة العلية...»[١٩٧]و وكقوله في ٧/ ٢: «وإنما أوردت هذا التنبيه، أيها الملك النبيه...»[١٩٨]، وكقوله في ٧/ ٣: «وإنما عرضت يا بطل، على رأيك السعيد هذا المثل...»[١٩٩]، وقوله في ٧/ ٤: «وإنما أوردت هذا المثل، ليحترز أيها البطل، في هذا الأمر من وقوع الخلل...»[٢٠٠]، وقوله في ٧/ ٥: «وإنما أوردت هذا المثل، عن الجمل، ليعلم الملك والحضار...»[٢٠١]، وقوله في ٧/ ٦: «وإنما أوردت هذه الأخبار، ليعلم الملك أن...»[٢٠٢]، وقوله في ٧/ ٧: «وإنما صورت هذا النقش، لتعلم يا ملك الوحش...»[٢٠٣]. وعادةً ما تعمل هذه العبارة على فتح آفاق الحوار، في عملية تبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب، لتتابع السَّرد بعد أن اتضح مضمون الحكاية الفرعية.

٤ – إن استعداد السّارد وحضوره الدائم لسرد حكاية جديدة يساعد كثيراً على استمرار السَّرد، وتدفقه، مما يجعل عملية إيقاف السَّرد عملية صعبة.

٥ – كما أن استعداد المخاطَب وجاهزيته في تلقي السَّرد مع حكاياتٍ جديدةٍ يساعد كثيراً أيضاً على استمرار السَّرد، وتدفقه، فالسامع المخاطَب لم يمل، بل هو الذي يلح بحسن صمته وشغفه للتلقي، وكما أن السّارد يخلق المخاطَب فإن المخاطَب يمد السّارد بطاقة البقاء والاستمرار لمواصلة السَّرد.

٦ – كما أن طبيعة الحكايات السَّردية الخرافية وقدرتها الذاتية على توليد حكايات فرعية بداخلها من ناحية، وقدرتها على خلق السّارد والمخاطَب لكل حكاية

فرعية من ناحية ثانية، يساعد على استمرار السَّرد وتواصله، بل يعد سمة بارزة من سماته.

٧ – أما الحوار فلم يكن خارجاً عن نطاق السَّرد بل جاء خادماً ومكملاً له؛ حيث ذهب ابن عربشاه إلى استخدام الحوار كأداةٍ لاستمرار السَّرد عبر كثير من المشاهد الحوارية، كما جاء في الحوار بين ملك الأفيال وأخويه: المقبل والمدبر مثلاً، أو الحوار بين بهلول وكسرى في الحكاية ٢/٧، أو الحوار بين الغراب والأسد في الحكاية ٣/٧ أو بين الأسد والذئب في الحكاية ٣/٧ أيضاً، أو الثعلب والأسد في الحكايات ٤/٧، ٥/٧، ٦/٧.

٨ – كما أن تبادل المواقع بين السّارد والمخاطَب، بفعل الحوار، ليعدُّ من وسائل استئناف السَّرد المهمة، كما يؤدي إلى ميلاد حكاياتٍ فرعيةٍ في سلسلةٍ طويلة.

٩ – كما أن الحاجة إلى تكوين رأي في المضامين الحكائية، سياسية كانت أو فكرية أو عسكرية، يستوجب استئناف السَّرد، وإطالة الحوار بين أصحاب الرأي المختلف، ليتكون الرأي الذي سيؤخذ به، والذي سيتحول إلى فعل ذي نتائج تاريخية أو سياسية أو عسكرية أو فكرية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى خلق حكايات فرعية جديدة وسُرّادٍ ومخاطَبين جدد.

١٠– كما أن من وسائل استمرار السّرد اللجوء إلى الوصف، سواء وصف هيئة الإنسان أم الحيوان عند ابن عربشاه، أو وصف شكل المكان بما فيه من سهول ووديان وأنهار وجبال وأشجار وأزهار وغيرها، أو وصف الزمان من حيث الليلُ والنهارُ واليوم من الشهر أو السنة.

١١– كما لجأ ابن عربشاه إلى استخدام الفعل بصيغة الماضي، ولا يخفى أن متعة السَّرد تكمن في حدوثه في الزمن الماضي، كما أن الحرص في بداية الحكاية الفرعية على إيراد الفعل الماضي السَّردي بصيغة: قال، أو فقال، قد ساعد كثيراً على استمرار السَّرد، كما حرص ابن عربشاه، بعد البدء بالفعل الماضي، على اتباعه بفعل آخر مثل: «فقال المقبل، ذكر مُحدِّث» ٢/٧، أو «فقال الأسد: ذكر القائل، أن أهل بابل» ٣/٧، أو «قال الثعلب: ذُكِر أن رجلاً ذا كيد» ٤/٧، أو كقوله: «قال: كان جمّال» ٥/٧، أو «فقال: بلغني أيُّها النفيس» ٦/٧، أو «فقال أبو الحصين: أخبرني أبو الحسين» ٧/٧.

١٢- كما لجأ ابن عربشاه إلى استخدام حروف العطف بكثرة لاستمرار السَّرد مثل: الواو، والفاء، وثُمَّ، و أو، و إمّا، وأمْ، وبل، ولكن بعد النفي، وحتى، كما استخدم الفاء الفجائية، وإذا الشرطية التي تتطلب سرداً طويلاً بعض الشيء للوصول إلى جوابها، وحروف الاستفهام كالهمزة وهل وأم.

إن استخدام كل هذه الوسائل والأدوات اللغوية والنحوية والسَّردية قد تم توظيفها بشكل ناجح؛ ليضع ابن عربشاه كتابه «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء»، وليؤكد إمكانياته الكتابية الضخمة وحُسْن توظيفها في بناء نص سردي شائق.

الخلاصة

لقد عرف العربُ في الجاهلية والإسلام الحكايات الخرافية على لسان الحيوان، بعد أن شاعت في الآداب العالمية القديمة، ثم تحولت تلك الحكايات لتأخذ بعداً جديداً ذا طابع رمزي سياسي، بعد أن خاف المفكرون وأصحاب المذاهب السياسية على حياتهم من بطش الحاكم ولا سيما في العصر العباسي، واستمر الكتاب منذ أن ترجم عبدالله ابن المقفع كتابه «كليلة ودمنة»، يتعاطون هذا النوع من الكتابة الرمزية على لسان الحيوان حتى العصر المملوكي، حيث وضع أحمد بن محمد بن عربشاه كتابه: «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» في شهر صفر سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م في القاهرة.

إن ابن عربشاه الذي ولد بدمشق في ذي القعدة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٩٢م قد شهد أحداثاً سياسية وعسكرية دموية عنيفة ومخيفة، وهو لم يزل في الثانية عشرة من عمره، عندما غزا تيمورلنك وجنوده دمشق، ومُدُنَ شامية أخرى، وأحدثوا فيها القتل والخراب وحرق الجامع الأموي بدمشق سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، إن كل تلك الصور الوحشية ظلت حية في ذهن ابن عربشاه زمناً طويلاً، منذ خروجه مع أمه وإخوته وابن أخته إلى بلاد سمرقند والخطا وبلاد ما وراء النهر، وتجواله في بلاد الروم عند محمد بن أبي يزيد العثماني، وعودته إلى حلب ثم دمشق، وخروجه إلى القاهرة سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٥٠م حيث استقرّ فيها، وإلى أن وضع كتابه «فاكهة الخلفاء» بالقاهرة في صفر سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، ليكون كتاباً باطنه السياسة لأولي الألباب والفكر والأمراء والحكام العرب والمسلمين فهو: فاكهة الخلفاء، وظاهره السَّمَرُ والسَّردُ للأدباءو السُّمّار والظرفاء فهو: مفاكهة الظرفاء، وبذلك يحقق ابن عربشاه وظيفتين الأولى: سياسية، يكشف فيها أوضاع العرب والمسلمين الضعيفة، ويدعو فيها إلى القوة وصدِّ العدو وحربه. والثانية: أدبية إمتاعية سمرية، في إطار سرديٍّ جميلٍ وضع فيه كتابه: «فاكهة الخلفاء» كآخر حلقة في سلسلة طويلة من الكتب الموضوعة على لسان الحيوان، منذ عبدالله بن المقفه وكتابه «كليلة ودمنة».

لقد وضع ابن عربشاه كتابه «فاكهة الخلفاء» رابطاً أوله بآخره في حكاية إطارية كبرى، حيث يقوم الحكيم حسيب الأخ الأصغر بسرد حكايات الكتاب العشرة لأخيه الأكبر الملك ولمن حوله، كالوزير والرؤساء والكبراء والعلماء والحكماء

والصُّلحاء والفُضلاء وغيرهم، وبذلك يكون الحكيم حسيب ساراداً والملكُ ومن حوله مخاطَبين من أول الكتاب إلى آخره، وقد شمل كل باب من الأبواب العشرة حكاية إطارية للباب نفسه، وبداخلها كثير من الحكايات الفرعية، في عملية متشابكة ومعقدة نتيجة توالد السُّراد والمخاطَبين والحكايات الفرعية في نسيج سردي متدفق.

وبعد إلقاء الضوء بشكل واضح على الباب ا لسابع وحكايته الإطارية: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال، وفحص الحكايات الفرعية السبع فيه اتضحت مستويات السرد كما يلي:

١ – ابن عربشاه السارد الحقيقي وقارئ الكتاب في كل مكان وأي زمان مخاطَب.

٢ – الراوي الشيخ أبو المحاسن يفتتح السَّرد ثم يتحول إلى مخاطَب مستمع.

٣ – الحكيم حسيب سارد، لجميع أبواب الكتاب بما فيه الباب السابع، وأخوه الأكبر الملك مخاطَب، ومعه من حوله.

٤ – ملك الأفيال، أبو دغفل، سارد لحكاية الباب السابع، وأخواه ووزيراه: المقبل والمدبر مخاطَبان.

٥ – ويتتابع بعد ذلك ظهور سُرّاد ومخاطَبين، كما اتضح من قبل، مع ظهور كل حكاية فرعية في الباب السابع.

ولقد تم ربط أول الباب السابع بآخره في إطار سرديّ متماسك، ليكون جزءاً في نسيج سرديٍّ كبير ومتماسك أيضاً للكتاب كله بحكاياته العشر التي سيطرت عليها الحكاية الإطارية الكبرى للكتاب.

كما اتضح – أيضاً – بعد عرض رأي الدكتور محمد غنيمي هلال ومعرفة رأي الدكتور محمد رجب النجار أن حكاية الباب السابع من «فاكهة الخلفاء» إنما هي من صياغة ابن عربشاه نفسه لأحداث حقيقية، شهدتها بلاد الهند عندما غزاها تيمورلنك، وأحداث حقيقية أخرى وقعت عندما غزا تيمورلنك دمشق وحلب وغيرها من المدن الشامية، أما الشخصيتان الرئيسيتان للباب السابع: الفيل والأسد فقد استوحاهما ابن عربشاه من أحداثٍ واقعيةٍ حقيقيةٍ حدثت لتيمورلنك عند قتاله الوزير الهندي ملو، الذي تولى بلاد الهند بعد وفاة السلطان الهندي فيروز شاه سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م.

كما اتضح أيضاً أن ملك الأفيال كان رمزاً لتيمورلنك وبقية الفيلة رمزاً لجنده وأتباعه، أما الأسد فكان رمزاً للحاكم العربي المسلم، ولا سيما حكام دمشق وحلب وطرابلس من الأمراء والنُّوّاب، الذين عايشوا أحداث غزو تيمورلنك لهم ولبلادهم، أما بقية الحيوانات كالنمر والثعلب والذئب فكانت رموزاً للأعيان والعلماء من رجال المدن الشامية.

كما اتضح أيضاً تعقيد البنْيَة السَّردية، وكثرة السُّرّاد والمخاطَبين، وتفرُّع الحكايات في الباب السابع، غير أن ذلك كله قد تم بشكل محكم ومتماسك في إطار سردي جميل ربط أول الباب بآخره، في إطار الحكاية الإطارية الكبرى للكتاب كله.

كما تم تسجيل كثير من الملحوظات المهمة للسارد والمخاطَب وبيان الطبيعة السَّردية لهذه الثنائية في الحكاية الرمزية على لسان الحيوان.

وتبين – أيضاً – أن ابن عربشاه وضع كتابه «فاكهة الخلفاء» بلغة عصره المملوكي وأسلوبه النثري المصنوع، المعتمد أساساً على السجع والجناس المصنوعين بأشكالهما المختلفة، دون تعقيد أو تكلُّفٍ أو ابتذال، وقد حافظ على جلال المعنى وجمال اللفز، وصاغ تلك الحكايات في بناء سرديٍّ متماسكٍ شائق، استفاد فيه من آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والأمثال، والحِكَم، والمصطلحات، وأسماء المؤلفات، فكان كتابه – بما فيه الباب السابع – قطعة أدبية سردية ذات مضامين سياسية وفكرية.

كما تم الكشف عن الوسائل والأدوات الفنية التي استخدمها ابن عربشاه لاستمرار السَّرد عنده بسلاسة دون تعقيد، منها وسائل التأليف السردي، ومنها أدوات النحو وصيغ الأفعال. وأخيراً فإن ابن عربشاه استطاع بنجاح كبير أن يضع كتابه »فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» ليربط الكتابة الرمزية على لسان الحيوان في عصره المملوكي بتلك المؤلفات الشبيهة لها، التي وضع أساسها عبدالله بن المقفع في كتابه «كليلة ودمنة» في العصر العباسي.

الهوامش والمراجع

(١) لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: محمد رجب النجار، التراث القصصي في الأدب العربي (مقاربات سوسيو – سردية)، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٩٥م، ص١٠١ وما بعدها، وانظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن – الطبعة الخامسة، بيروت: دار الثقافة ودار العودة، بدون تاريخ، ص١٧٩ وما بعدها.

(٢) التراث القصصي، ص١٠٨.

(٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م، جـ١١، ص٢٢٥.

(٤) معجم المؤلفين، جـ٢، ص٢٤٩.

(٥) لمزيد من المعلومات عن كليلة ودمنة وترجماتها انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: مكتبة المثنى، ١٩٤١م، جـ٢، ص١٥٠٧–١٥٠٨ وأيضاً ص٩٩٨.

(٦) معجم المؤلفين، جـ١١، ص١٤١، كشف الظنون، جـ٢، ص٩٩٨.

(٧) معجم المؤلفين، جـ٥، ص٢٢٣، أما كشف الظنون، جـ٢، ص١٤٨٥، ففي اسم الكتاب وعنوانه اختلاف.

(٨) معجم المؤلفين، جـ٢، ص١٢٢.

(٩) كشف الظنون، جـ٢، ص١٢١٦.

(١٠) معجم المؤلفين، جـ١١، ص٢٩٥.

(١١) معجم المؤلفين، جـ١٣، ص٢٨٢.

(١٢) معجم المؤلفين، جـ٨، ص٢٣٦.

(١٣) أحمد بن محمد بن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، بيروت:/ مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ص١٥.

(١٤) عجائب المقدور، ص٣٨.

(١٥) عجائب المقدور، ص٢٠٠.

(١٦) عجائب المقدور، ص٢٠١.

(١٧) عجائب المدور، ص٢٠٧–٢٠٩.

(١٨) عبدالحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، جـ٧، ص٦٤.

(١٩) عجائب المقدور، ص٢٨٠–٢٨٥.

(٢٠) عجائب المقدور، ص٢٩٠.

(٢١) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين، جـ١، ص١٢٢، وانظر: شذرات الذهب، جـ٧، ص٢٨٠. وانظر: أحمد بن محمد بن عربشاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار، الطبعة الأولى، الكويت، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص٢٨.

(٢٢) محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ، جـ٢، ص١٢٧.

(٢٣) الضوء اللامع، جـ٢، ص١٢٦ وما بعدها، وانظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بع القرن السابع، الطبعة الأولى. مصر، مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ، جـ١، ص١٠٩.

(٢٤) الضوء اللامع، جـ٢، ص١٢٩، والبدر الطالع، جـ١، ص١١٢ نقلاً من السخاوي.

(٢٥) عمر رضا كحالة، معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ص٧١.

(٢٦) كشف الظنون، جـ١، ص٥٤٠.

(٢٧) الضوء اللامع، جـ٢، ص١٢٦، وفاكهة الخلفاء، ص٢٩-٣٠.

(٢٨) انظر التفاصيل في الضوء اللامع، جـ٢، ص١٢٦.

(٢٩) كل ما جاء من جُمَل بين علامات الاقتباس هو من كلام ابن عربشاه في فاكهة الخلفاء، أوله وآخره.

(٣٠) فاكهة الخلفاء، ص٤٣.

(٣١) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.

(٣٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.

(٣٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.

(٣٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.

(٣٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.

(٣٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.

(٣٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٣٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٠. وقد وردت فيه «المنتزهات».

(٣٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٠.

(٤٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٠.

(٤١) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٢.

(٤٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٣.

(٤٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٣.

(٤٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٣.

(٤٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٤.

(٤٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٤.

(٤٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٤.
(٤٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٤.
(٤٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٦.
(٥٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٦.
(٥١) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٧.
(٥٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٧.
(٥٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٧.
(٥٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٨.
(٥٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩.
(٥٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩.
(٥٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩.
(٥٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩-٣٧٠.
(٥٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٠.
(٦٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٠.
(٦١) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٠.
(٦٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٠.
(٦٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٠.
(٦٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٧١.
(٦٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٧١.
(٦٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٣.
(٦٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٥.
(٦٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٦.
(٦٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٧.
(٧٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٧.
(٧١) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٧.
(٧٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٨.
(٧٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٩.
(٧٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٩.
(٧٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٠.
(٧٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٠.
(٧٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٠.
(٧٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.

(٧٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.
(٨٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.
(٨١) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.
(٨٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٢.
(٨٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٢.
(٨٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٢.
(٨٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٣.
(٨٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٣.
(٨٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٤.
(٨٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٥.
(٨٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٥.
(٩٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٥-٣٨٦.
(٩١) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٦، وورد فيه «أعدائه».
(٩٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٦.
(٩٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٦-٣٨٧.
(٩٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٧-٣٨١.
(٩٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٧، وورد فيه «فربما يكونوا».
(٩٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٨.
(٩٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٨.
(٩٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٨.
(٩٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٩.
(١٠٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٩.
(١٠١) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٠.
(١٠٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٠.
(١٠٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٩١-٣٩٢.
(١٠٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٣.
(١٠٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٤.
(١٠٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٤.
(١٠٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٤.
(١٠٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٦.
(١٠٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٦-٣٩٧.
(١١٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٧.

(١١١) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٧.
(١١٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٧.
(١١٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٨.
(١١٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٨.
(١١٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٨-٣٩٩.
(١١٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٩.
(١١٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٩.
(١١٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٩.
(١١٩) فاكهة الخلفاء، ص٤٠٠.
(١٢٠) فاكهة الخلفاء، ص٤٠١.
(١٢١) فاكهة الخلفاء، ص٤٠١-٤٠٢.
(١٢٢) فاكهة الخلفاء، ص٤٠٢-٤٠٣.
(١٢٣) الأدب المقارن، ص١٨٦-١٨٧، كما قال جورجي زيدان عن فاكهة الخلفاء: «منقولة عن مرزبان نامه نثراً مسجعاً». انظر: جورجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية، الطبعة الثانية، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م. جـ٢، ص١٦٥.
(١٢٤) فاكهة الخلفاء، ص١٩-٢٠.
(١٢٥) فاكهة الخلفاء، ص٢٠.
(١٢٦) عجائب المقدور، ص١٦٤.
(١٢٧) عجائب المقدور، ص١٦٦.
(١٢٨) عجائب المقدور، ص١٦٥-١٦٧.
(١٢٩) فاكهة الخلفاء، ص٤٠٢.
(١٣٠) عجائب المقدور، ص١٦٥.
(١٣١) عجائب المقدور، ص٣٤٨ وما بعدها.
(١٣٢) عجائب المقدور، ص١٩٩ وما بعدها.
(١٣٣) فاكهة الخلفاء، ص١٩-٢٢.
(١٣٤) فاكهة الخلفاء، ص٤٣.
(١٣٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.
(١٣٦) فاكهة الخلفاء، ص٤٣.
(١٣٧) انظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة العاشرة، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص٣٧٦.
(١٣٨) انظر دراسة الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار في مقدمة: فاكهة الخلفاء، ص١٧.
(١٣٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٦.

(١٤٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.
(١٤١) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٥.
(١٤٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٥.
(١٤٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٠.
(١٤٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.
(١٤٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٦.
(١٤٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٦.
(١٤٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٨.
(١٤٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٩.
(١٤٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩.
(١٥٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٣.
(١٥١) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٤.
(١٥٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٧.
(١٥٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٢.
(١٥٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٩.
(١٥٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٢.
(١٥٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٦١.
(١٥٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٧.
(١٥٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٤.
(١٥٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٤.
(١٦٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٤.
(١٦١) فاكهة الخلفاء، ص٣٦١.
(١٦٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٥٩.
(١٦٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٢.
(١٦٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٦.
(١٦٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.
(١٦٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٢.
(١٦٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٤.
(١٦٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٦.
(١٦٩) فاكهة الخلفاء، ص٤٠٠.
(١٧٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٠.
(١٧١) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٤.

(١٧٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٦.
(١٧٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٢.
(١٧٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٠.
(١٧٥) فاكهة الخلفاء، ص٤٠١.
(١٧٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٨، انظر الآية: ١٧/ إبراهيم ١٤.
(١٧٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٠، انظر الآية، ٢/ الفيل ١٠٥.
(١٧٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٧، انظر الآية: ١٠٢/ النساء ٤.
(١٧٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٧، انظر الآية: ٤/ الأعراف ٧.
(١٨٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٩، انظر الآية: ٥/ القارعة ١٠١.
(١٨١) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٢، انظر الآية: ١٨/ النمل ٢٧.
(١٨٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٤، انظر الآية: ٢٦/ التوبة ٩.
(١٨٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٢، انظر: سنن الترمذي/ الزهد ١٨٨٦-٢٤٣٣.
(١٨٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٤، لم أعثر عليه.
(١٨٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٧، لم أعثر عليه.
(١٨٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٥، لم أعثر عليه.
(١٨٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٧٧.
(١٨٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٨.
(١٨٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩.
(١٩٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٤.
(١٩١) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٩.
(١٩٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٨١.
(١٩٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٦.
(١٩٤) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٨.
(١٩٥) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٤.
(١٩٦) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٧.
(١٩٧) فاكهة الخلفاء، ص٣٦٦.
(١٩٨) فاكهة الخلفاء، ص٣٧١.
(١٩٩) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٢.
(٢٠٠) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٧.
(٢٠١) فاكهة الخلفاء، ص٣٨٩.
(٢٠٢) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٦.
(٢٠٣) فاكهة الخلفاء، ص٣٩٩.

الملاحق
الجداول والصور

جدول رقم (١)

السارد والمخاطَب للكتاب: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، والباب السابع منه

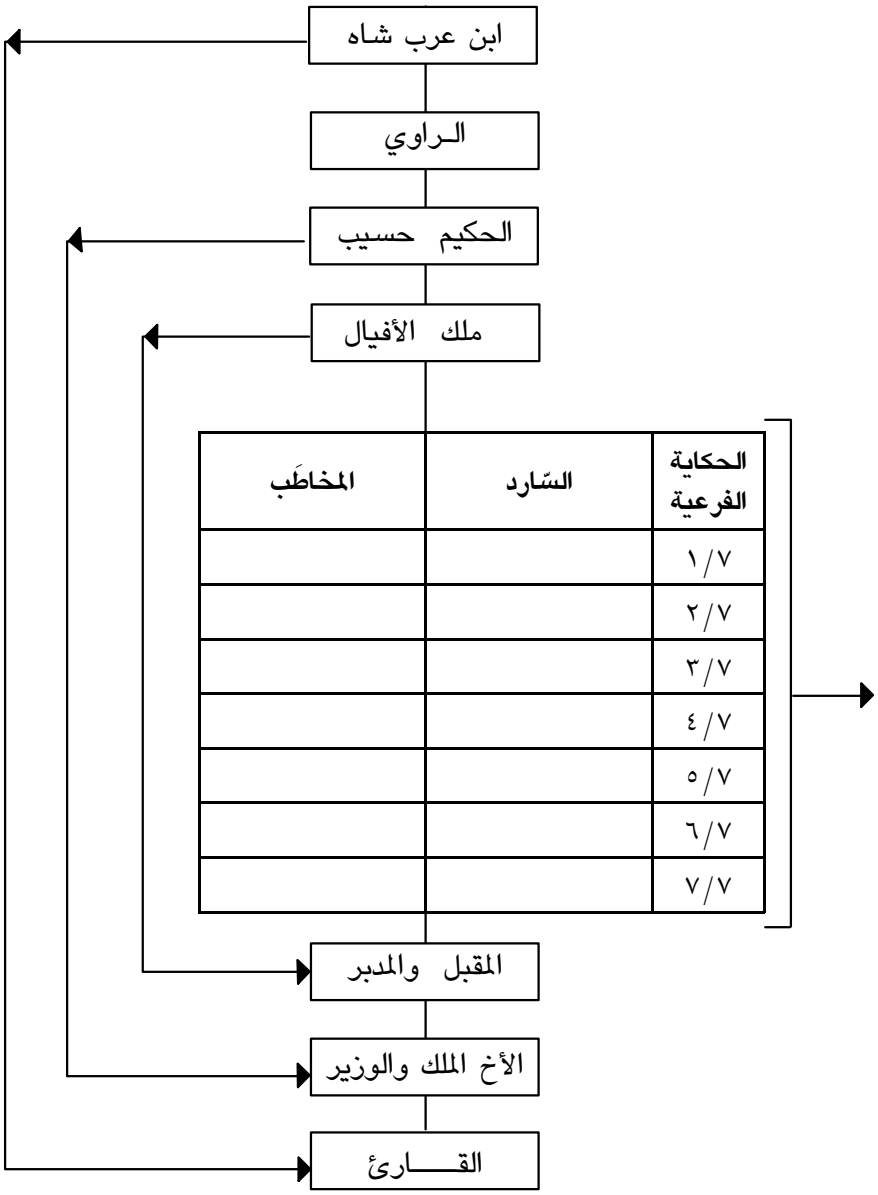

جدول رقم (٢)

السّارد والمخاطَب في الحكايات الفرعية للباب السابع من: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

الحكاية الفرعية	السّارد	المخاطَب
١/٧	المدبر ملك الأفيال المقبل ملك الأفيال	ملك الأفيال المقبل ملط الأفيال المقبل
٢/٧	المقبل البهلول عيسى، عليه السلام البهلول المقبل المدبر الغراب الأسد الذئب	ملك الأفيال كسرى الحواريون كسرى ملك الأفيال ملك الأفيال الأسد الغراب وبقية الحيوانات الأسد
٣/٧	الأسد الملك المعزول الأسد الأسد الأسد الأسد	الذئب المُنجّم الذئب النمر الذئب الثعلب
٤/٧	الثعلب	الأسد
٥/٧	الثعلب الأرنب الثعلب	الأسد الجمل الأسد
٦/٧	الثعلب الفأر الضيف العقرب الثعلب	الأسد الفأرة الفأرة الأسد
٧/٧	الثعلب أبو الحسين الحمار	الأسد الثعلب الأسد

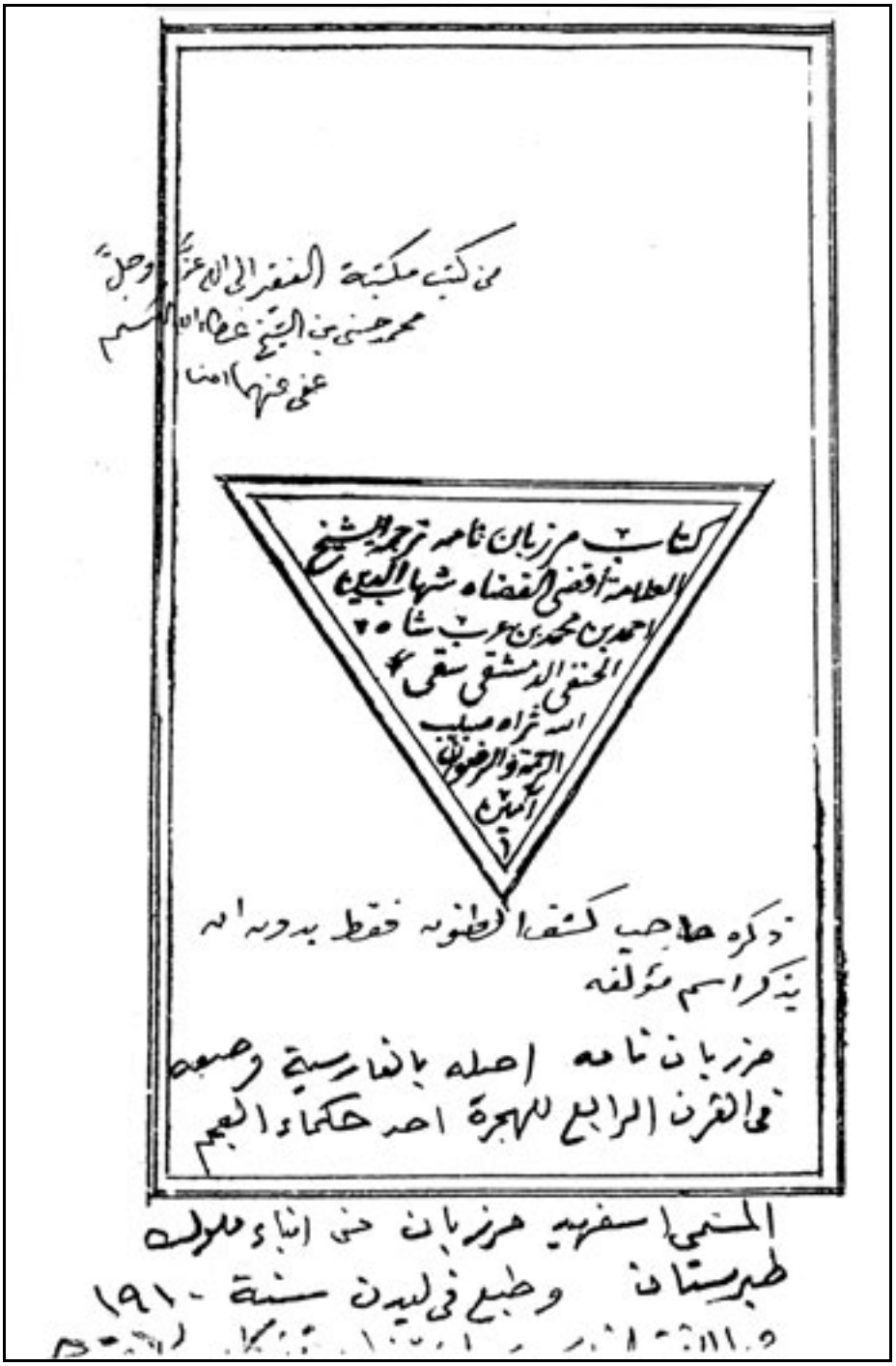
من كتب مكتبة الفقير الى الله عز وجل
محمد حسني بن الشيخ عطاء الله المسلم
عفى عنهما آمنا

كتاب مرزبان نامه ترجمة الشيخ
العلامة أقضى القضاة شهاب الدين
احمد بن محمد بن عرب شاه
الحنفي الدمشقي سقى
الله ثراه صيب
الرحمة والرضوان
آمين

ذكره صاحب كشف الظنون فقط بدون انه
يذكر اسم مؤلفه

مرزبان نامه اصله بالفارسية وضعه
في القرن الرابع للهجرة احد حكماء العجم

المسمى اسفهبد مرزبان من ابناء ملوك
طبرستان وطبع في ليدن سنة ١٩١٠

فهرست كتاب مرزبان نامه ترجمة الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد بن عرب شاه الحنفي الدمشقي رحمه الله تعالى

صحيفه	
٥	الباب الاول في سبب تسمية الكتاب وسبب وضعه
٢٩	الباب الثاني في ذكر العالم الزاهد والعفريت المشتق الجوافر
٥٠	الباب الثالث في ذكر الثعلبين المدعو لهما الرئيس والآخر بالعادل
٧٠	الباب الرابع في ذكر العنز المحتال والكلب الذكي
٩٩	الباب الخامس في امثال الفيل والاسد ومحاربتهما
١٣٧	الباب السادس في امثال الجمل الصادق والاسد الزاهد
١٧٧	الباب السابع في ذكر العقاب والجلتين
٢٣٧	الباب الثامن في معاملة المخادم والاصحاب
٢٥٩	فصل في مدح الكتاب
٢٤٤	فصل في بعض حكم واحاديث

جوامع الحکایات

و

لوامع الرّوایات

تألیف

سدید الدّین محمّد عوفی

بتصحیح و اهتمام

دکتر محمّد مُعین

استاد دانشگاه تهران

بخش اول

چاپ دوم

بسرمایه کتابخانه ابن‌سینا

۱۳٤۰

چاپ شرق

وكان مرزبان واضع هذا الكتاب هو اصغرهم فاستمر الاخوة
الاربعة في خدمة اخيهم الاكبر مدة ثم انه حصل في خواطر الاخوة
ما يخطر ببال الناس من المخالفة فخاف مرزبان من ذلك
على نفسه وانه لا يستطيع ان يكون في جملة احد منهم اذ كل منهم
اخوه وكان في الفضل والتدبير وحسن السياسة والتامل في
العواقب متميزا على اقرانه واخوانه ففكر في عواقب ما عزم
عليه اخوته من العصيان فاداه اجتهاده الى ان يتوجه الى جهة
من جهات المملكة وينحاز عن دائرة ما يقع بين اخوته من المخا
لفة والمنافرة بينهم وبين اخيهم الملك حتى لا ينسب اليه شئ

من ذلك ويسلم من تلك الكدورات فتشاور فيما يلزم عليه
مع طائفة من الاذكيا وجماعة من الفصحا فاستصوبوا رايه الا
انهم التمسوا منه ان يضع لهم كتابا يشتمل على انواع الحكمة
والطائف التي تتهذب بها النفس وتتوفر بها مكارم الاخلا
ويكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد ويدل على فضائل
وغزارة حكمته وعلمه فاستصوب ما اشاروا به عليه
ثم راى عرض ما وقع من هذه الامور على اخيه الاكبر فوقف في
مقام الخدمة وذكر له ذلك بعبارة لائقه وانتظر ما يرسم به
ليمتثله فتوقف في جوابه وتامل في خطابه وصرفه

ثم ان الملك استشار في ذلك احد وزرائه وكان بينه وبين

فيا عجبا كيف يعصى الالـه ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية تدل على انه الواحد

ولكن لما كثرت الايات والحكم وترادفت هذه العجائب و
العبر اعتادت النفوس بها والفتها فلم تتدبر في حكمها ومعا
ولا فيما دلت عليه من عجائب ما فيها ولم تنظر الى حسن
مواقعها وعظم منافعها وكثر في التنبيه على ذلك اقوال الحكما
وتكررت مقالات العلما فلم تصغ الاسماع اليها فقصدت
طائفة من الاذكيا وجماعة من العقلا ابراز شئ من ذلك على
السنة للوحوش والبهايم وسائر الطيور والسباع لتميل النفوس
اليها لان البهايم والوحوش غير معتادة بشئ من الحكم بل ولا
النطق والقول فاذا اسند اليها شئ من ذلك مالت اليه
النفس لغرابته ورغبت في سماعه وتلقته بالاصغاء و
القبول فربما تنبهت لذلك لاصلاح امور معاشها ومعادها
وتفكرت في احوال دينها ودنياها لاسيما الملوك والامرا وارباب
الدول والرفاهية والنعم فانهم اذا سمعوا قول الثعلب سكر
الدب وصدق الاسد وانشد الذئب ورقصت الغزالة
وطرب القنفذ وتصادق القط والفار وحمل الذئب على
الخروف وعانق الاسد الجمل وحمل الباز على رقبته الحمامة
ارتاحت انفاسهم وانشرحت صدورهم وزادت لذة
عيشهم ولكن اهل السعادة منهم والمتنبهون ومن هو مقصود
لفصل الخصومات وخلاص المظلومين من الظالمين اذا كانوا
في الحكم والعبر ولطائف الغزل والسير الحسنة المسندة الى
ما لا يعقل وهم ممن يعقل يزدادون بذلك بصيرة فتتوفر
مسراتهم وتتضاعف لذاتهم فربما تفكروا في انفسهم
ان مثل هذه الحيوانات مع انها غير مكلفة اذا فعلت هذه الامو

نيها

الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة فنحن اولى بذلك وقد ورد
في الكتاب العزيز مما فيه الاعتبار لاصحاب العقول على السنة
غير العاقلة ايات كثيرة كقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وقوله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد
له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الآية
وقوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقد
وضع في ذلك كتاب يسمى بمرزبان نامه مترجم باللسان
التركي عن الفارسي فاشار الي المخدوم الذي لا يمكنني مخالفته
ان اترجمه باللسان العربي فامتثلت امره وترجمته وقد
جعلته واضعه ثمانية ابواب الباب الاول في
تسميته وسبب وضعه الباب الثاني في
ذكر العالم والعفريت الباب الثالث في ذكر
احوال الثعلبين الباب الرابع في ذكر الكلب المسمى
بالذكي والعتر الباب الخامس في ذكر السبع و
سلطان الافيال الباب السادس في ذكر وقايع
النمل والاسد الباب السابع في ذكر العقاب
والمجلتين الباب الثامن في معاملة الاحباب
الباب الاول في سبب تسمية الكتاب
زعموا ان واضع هذا الكتاب ملك من ملوك الفرس اسمه
مرزبان بن شروين وهو من اولاد كيكاوس وهو اخو انو
شروان الملك العادل وكان متوليا طبرستان ولما توفي
انتقل الملك الي اولاده الى ان استقر فيه شروين فلما توفي
خلف من الذكور خمسة انفار كل منهم صالح للسلطنة فاستولى

کتاب

مرزبان نامه

تألیف مرزبان بن رستم بن شروین از شاهزادگان طبرستان
در اواخر قرن چهارم هجری و اصلاح کاتب
بارع و دبیر شیوا سعد الدّین
الوراوینی در اوایل قرن
هفتم هجری

بتصحیح و تحشیهٔ

محمّد بن عبد الوهّاب قزوینی

عفی عنه

بسرمایه
کتابفروشی بارانی - تهران

طبعهٔ ... ما در لیدن از بلاد هلاند بطبع رسید

قسيمة اشتراك

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة:

◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات ◯ أربع سنوات بعدد ( ) نسخة

أرفق طيه قيمة الاشتراك .....

◯ نقداً/شيك ◯ حوالة نقدية ◯ إرسال فاتورة للتسديد

الاسم .....

العنوان الكامل .....

التاريخ / / التوقيع

ترسل الاشتراكات إلى حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية - الرمز البريدي 72454 الكويت - هاتف وفاكس: ٤٨١٠٣١٩

قسيمة اشتراك

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة:

◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات ◯ أربع سنوات بعدد ( ) نسخة

أرفق طيه قيمة الاشتراك .....

◯ نقداً/شيك ◯ حوالة نقدية ◯ إرسال فاتورة للتسديد

الاسم .....

العنوان الكامل .....

التاريخ / / التوقيع

ترسل الاشتراكات إلى حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية - الرمز البريدي 72454 الكويت - هاتف وفاكس: ٤٨١٠٣١٩

قسيمة اشتراك

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة:

◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات ◯ أربع سنوات بعدد ( ) نسخة

أرفق طيه قيمة الاشتراك .....

◯ نقداً/شيك ◯ حوالة نقدية ◯ إرسال فاتورة للتسديد

الاسم .....

العنوان الكامل .....

التاريخ / / التوقيع

ترسل الاشتراكات إلى حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية - الرمز البريدي 72454 الكويت - هاتف وفاكس: ٤٨١٠٣١٩

قسم الاشتراكات

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
AR AVION

قسم الاشتراكات

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
AR AVION

قسم الاشتراكات

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
AR AVION

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

مجلة فصلية محكمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥

رئيس التحرير

أ. د. أمل يوسف العذبي الصباح

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية.. إلخ (باللغتين العربية والإنجليزية).

الأبواب الثابتة

- البحوث (باللغتين العربية والإنجليزية).
- عرض الكتب ومراجعاتها.
- التقارير: مؤتمرات - ندوات.
- البيبلوجرافيا العربية والإنجليزية.
- ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير - الدكتوراه).
- ملخصات باللغة الإنجليزية للبحوث المنشورة باللغة العربية وبالعكس.

الاشتراكات

دولة الكويت: ٣ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات.

الدول العربية: ٤ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات.

الدول الأجنبية: ١٥ دولار للأفراد، ٦٠ دولار للمؤسسات.

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير:

ص.ب: 17073 - الخالدية الكويت - الرمز البريدي 72451

تليفون: 4833215 - 4833705 - فاكس: 4833705

E-MAIL:JOTGAAPS@KUC01.KUNIV.EDU.kW

Http://Pubcouncil.Kuniv.Edu.Kw/JGAPS

المجلة العربية للعلوم الادارية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت - دولة الكويت
علمية محكمة تعني بنشر الأبحاث الأصيلة في مجال العلوم الإدارية

رئيس التحرير
أ. د. حسني إبراهيم حمدي

- صدر العدد الأول في نوفمبر 1993
- تصدر كل أربعة أشهر ابتداء من يناير 1999م
- تهدف المجلة إلى المساهمة في تطوير ونشر الفكر الاداري والممارسات الادارية على مستوى الوطن العربي.
- تقبل المجلة الأبحاث الأصيلة والمبتكرة في مجالات الادارة، المحاسبة، التمويل والاستثمار، التسويق، نظم المعلومات الادارية، الأساليب الكمية في الادارة، الادارة الصناعية، الادارة العامة، الاقتصاد الاداري، وغيرها من المجالات المرتبطة بتطوير المعرفة والممارسات الادارية.

يسر المجلة دعوتكم للمساهمة في أحد أبوابها التالية:
- الأبحاث - مراجعات الكتب
- ملخصات الرسائل الجامعية - الحالات الادارية العملية
- تقارير عن الندوات والمؤتمرات العلمية.

الاشتراكات

الكويت 3 دينار للأفراد
15 دينار للمؤسسات
الدول العربية 4 دينار للأفراد
15 دينار للمؤسسات
الدول الأجنبية 15 دولاراً للأفراد
60 دولاراً للمؤسسات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
المجلة العربية للعلوم الادارية
جامعة الكويت
ص.ب: 28558 الصفاة
دولة الكويت

هاتف/فاكس: 4817028 أو 4846843
داخلي 4415، 4416

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية
محكّمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / إبراهيم الدسوقي أبو الليل

صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧

الاشتراكات
في الكويت : ٣ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات
في الدول العربية : ٤ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ١٥ دولاراً للأفراد، ٦٠ دولاراً للمؤسسات

المراسلات
توجه جميع المراسلات إلى رئيس
التحرير على العنوان التالي :

مجلة الحقوق . جامعة الكويت
ص.ب : ٥٤٧٦ الصفاة 13055 الكويت
تلفون : ٤٨٣٥٧٨٩ . فاكس : ٤٨٣١١٤٣

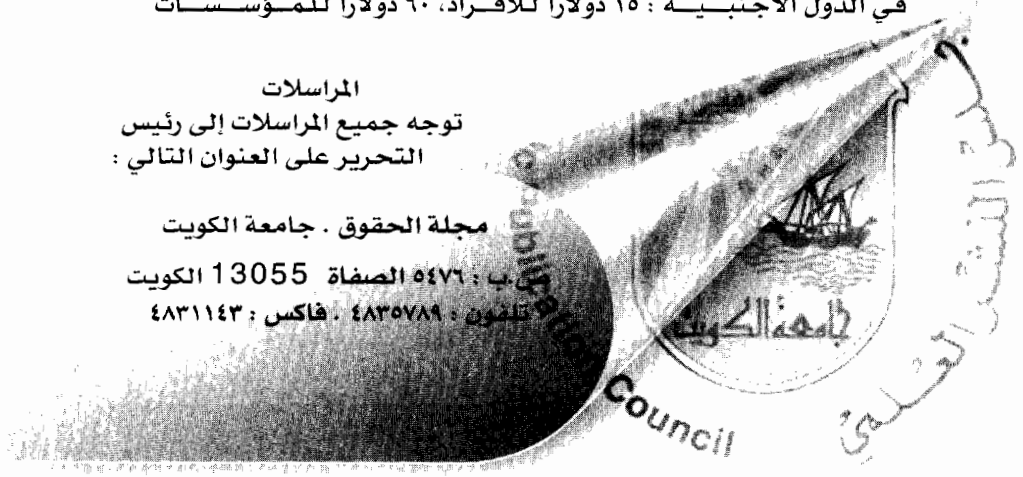

المجلة التربوية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت مجلة فصلية، تخصصية، محكّمة

رئيس التحرير:

أ. د كمال إبراهيم مرسي

تنشر

البحوث التربوية العلّمة

مراجعات الكتب التربوية الحديثة

محاضر الحوار التربوي

والتقارير عن المؤتمرات التربوية

- تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.
- تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت:	ثلاثة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات
في الدول العربية:	أربعة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات
في الدول الأجنبية:	خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب: ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955 الكويت هاتف: ٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ -٤٤٠٩) - مباشر: ٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٤٨٣٧٧٩٤

E-mail: TEJ@kuc01.kuniv.edu.kw.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكّمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تُعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: عجيل جاسم النشمي

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص.ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي: 72455 الخالدية - الكويت هاتف: ٤٨١٢٥٠٤ - فاكس: ٤٨١٠٤٣٤
بدالة: ٤٨٤٦٨٤٣ - ٤٨٤٢٢٤٣ - داخلي: ٤٧٢٣

العنوان الإلكتروني: E-mail - JOSAIS@KUC01.KUNIV.EDU.KW

issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: http: .pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html

مجلة العلوم الاجتماعية

فصلية - أكاديمية - محكمة

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاقتصاد والاجتماع
وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية والجغرافيا السياسية والبشرية

تصدر عن مجلس النشر العلمي جامعة الكويت

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
أحمد محمد عبدالخالق

تفتح أبوابها أمام

- **أوسع مشاركة للباحثين الاجتماعيين العرب للإسهام في معالجة قضايا مجتمعاتهم.**
- **التفاعل الحي مع القارئ المثقف والمهتم بالقضايا المطروحة.**
- **المقابلات والمناقشات الجادة ومراجعات الكتب والتقارير.**
- **تؤكد المجلة التزامها بالوفاء والانتظام بوصولها في مواعيدها المحددة إلى جميع قرائها ومشتركيها**

الاشتراكات

الكويت والدول العربية:

أفراد: ٣ دنانير سنوياً داخل الكويت، ويضاف إليها دينار واحد في الدول العربية.

مؤسسات: في الكويت والدول العربية ١٥ ديناراً في السنة، ٢٥ ديناراً لمدة سنتين.

الدول الأجنبية:

أفراد: ١٥ دولاراً.

مؤسسات: ٦٠ دولارا في السنة ، ١١٠ دولارات لسنتين.

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقدا أو بشيك باسم المجلة مسحوبا على أحد المصارف الكويتية ويرسل على عنوان المجلة، أو بتحويل مصرفي لحساب مجلة العلوم الاجتماعية رقم 07101685 لدى بنك الخليج في الكويت (فرع العديلية)

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت
ص.ب ٢٧٧٨٠ صفاة، الكويت 13055
تليفون ٤٨١٠٤٣٦ - ٤٨٣٦٠٢٦ فاكس ٤٨٣٦٠٢٦/ ٠٠٩٦٥
E-mail:JSS@kuniv.edu.kw

Visit our web site
http://kuc01.Kuniv.edu.kw/~jss

جامعة الكويت
مجلس النشر العلمي

■ تشكلت لجنة التأليف والتعريب والنشر بقرار صادر من وزير التربية والتعليم رقم (٢٠٣) بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٧٦

* أهداف اللجنة :

١- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف فروع المعرفة في جامعة الكويت.

٢- إثراء المكتبة الكويتية بأمهات الكتب والمراجع العلمية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات الحية والأجنبية.

٣- دعم وتنشيط حركة التأليف والترجمة في الأمور العلمية التي يتفق عليها الإجماع العربي.

* مهام اللجنة :

- طبع ونشر الإصدارات العلمية [illegible]

- التدريس التي توجب أصحابها في نشرها على نفقة الجامعة [illegible]

هذه الإصدارات لتحديد لمختلف الأقسام العلمية [illegible]

- تحديد ثمن الكتاب الجامعي الذي ينشر باسم الجامعة [illegible]

رئيس اللجنة : د. محمد عبد المحسن المقاطع
توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة
جامعة الكويت مجلس النشر العلمي
ص.ب : ٥٤٨٦ الصفاة - الرمز البريدي : 13055 الشويخ
بدالة : ٤٨٤٦٨٤٣ / ٤٨٤١٥٣٨ داخلي : ٨١٥٩ / ٤٥٦٦ / ٤٥٧١ / ٨١٠١ مباشر / فاكس : ٤٨٤٣١٨٥

مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

جامعة الكويت

إنشاء المركز:

أنشىء مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية كأحد مراكز البحوث والدراسات المتخصصة التي تعمل تحت مظلة جامعة الكويت - ومقره الرئيسي بجامعة الكويت - في ٢٩ فبراير ١٩٩٤م بقرار من وزير التربية والتعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعة .

أهداف المركز:

- إبراز الخصوصية البيئية للمنطقة الخليجية وإجراء البحوث والدراسات المسحية التي تستهدف التعرف على معطيات البيئة ومواردها .
- متابعة قضايا التنمية بأبعادها الحضارية الشاملة وفي ضوء المتغيرات العالمية المتلاحقة .
- رصد مشكلات التحول الاجتماعي والثقافي المتسارع الذي تشهده المنطقة الخليجية في توجهاتها الإقليمية والعربية والإسلامية والعالمية .
- متابعة الأحداث الجارية بالتقصي والتحليل العلمي الدقيق .
- جمع الوثائق التاريخية والحديثة وكافة البيانات والمعلومات المتعلقة بالمنطقة الخليجية وبناء قاعدة راسخة للمعلومات تعين الدارسين والباحثين .
- التوسع في النشر العلمي بمختلف صوره للبحوث والدراسات الخليجية والاهتمام بالترجمة .
- تحفيز الاهتمام بالدراسات الخليجية بتقديم المنح الدراسية وإقامة المسابقات والإعلان عن الجوائز .

سجل الأحداث الجارية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية:

يعنى بالوثائق واليوميات وهو رصد للأحداث الجارية في منطقة الخليج والجزيرة العربية وتجميع الوثائق ذات الأهمية الخاصة بالوقائع والأحداث الجارية في هذه المنطقة ووضع القارىء المتابع لأحداث المنطقة أمام تصور شامل . يصدر كل ثلاثة أشهر .

من أهم أعمال المركز:

١ - مشاريع الدراسات والأبحاث المتعلقة بقضايا الخليج المختلفة وعلى وجه الخصوص الحيوية والهامة .
٢ - المؤتمرات والندوات لخدمة قضايا الخليج ودوله .
٣ - حلقات نقاشية دورية بالموضوعات المتعلقة بقضايا دول مجلس التعاون الخليجي .
٤ - إصدارات خاصة بالدراسات التي تعنى بشئون الخليج وقضاياه الهامة .

إصدارات المركز:

- وقائع الندوة العلمية الرابعة لدول مجلس التعاون الخليج (وحدة التاريخ والمصير وحتمية العمل المشترك) الفترة من ١٥ - ١٧ نوفمبر ١٩٩٣ (في مجلدين) .
- وقائع المؤتمر العالمي عن آثار العدوان العراقي على دولة الكويت - الكويت ٢ - ٦ أبريل ١٩٩٤ في ثلاثة مجلدات .
- الأبعاد النفسية لآثار الغزو العراقي على دولة الكويت - ١٩٩٦ .
- رحلة مرتضى بن علوان من دمشق إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق ١١٢٠ - ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م - ١٩٩٧ .

المراسلات

جميع المراسلات باسم مديرة المركز
أ . د . ميمونة خليفة العذبي الصباح
ص . ب ١٧٠٧٣ الحالدية - الكويت
الرمز البريدي (٧٢٤٥١)
هاتف : ٤٨١٦٧٩٩ - ٤٨١٦٨٠٧ - ٤٨١٦٨٢٤

الاشتراكات

١ - داخل الكويت : الأفراد ... ٢ د . ك .
المؤسسات ..... ١٢ د . ك .
٢ - الدول العربية : الأفراد .... ٥ ,٢ د . ك .
المؤسسات ..... ١٢ د . ك .
٣ - الدول الأجنبية : الأفراد ... ١٢ دولارا
المؤسسات ..... ٦٠ دولارا

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

علمية . أكاديمية . فصلية . محكمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي . جامعة الكويت
صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير: أ . د . عبدالمالك خلف التميمي

الاشتراكات

الكويت: 3 دنانير ـ ديناران للطلاب ـ 15 ديناراً للمؤسسات .
الدول العربية: 4 دنانير للأفراد ـ 15 دينارا للمؤسسات .
الدول الأجنبية: 15 دولاراً للأفراد 60 دولاراً للمؤسسات .

بحوث باللغة العربية والإنجليزية

ندوات ـ مناقشات ـ عروض كتب ـ تقارير

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير:
ص.ب: 26585 الصفاة ـ رمز بريدي 13126 الكويت
هاتف: 4817689 ـ 4815453 ـ فاكس: 4812514
e-mail: ajh@kuc01.kuniv.edu.kw

يمكنك الاطلاع على المجلة باللغتين العربية والإنجليزية مع الفهرس على شبكة الانترنت

http://kuc01.kuniv.edu.kw/~ajh

The Narrator and the Addreessed in "The Caliphs' fruit & the banter of the Witty" By Ibn Arabshah (A Study in Chapter Seven)

Abstract

Beast fable existed long time ago, and it was first related to myth. It was later transformed from verbal into written and symbolic form. It attracted the attention of Literati, poets and philosophers who narrated a lot of beast fables with symbolic dimensions.

The Arabs in the pre-Islamic era wrer not unfamiliar with these fables, but they became widely spread among people during Prophet Mohammed's time. And later in the Abbasid era, Abdullah Ibn Al-Mugaff'a, who died in 142H/759 AD, was considered the first writer of beast fable. He wrote the beadst fable "Kalilah and Dimnah". The main reason underlying this type of writing was his fear of the caliph Abu Ja'afer Al-Mansour.

Ibn Arabshah's book "The Caliphs' Fruit & the Banter of the Witty" is considered the last in the long series of symbolic writings on beast fable. He wrote this book in Cairo in 852 AH/1448 AD, and his motivation for writing it was not different from that of Ibn Al-Muqaffa's, namely the fear of the caliph.

This study deals with the political aspects of the Mamelukes' era during which Ibn Arabshah was living. It also covers the events associated with his escape from Damascus to Samarkand after it was conquered by Tamerlane. It also studies the various structures and forms of the narrative.

The study pays a special attention to Chapter Seven with its seven marginal fables and takles it in details disclosing its content which reflects a struggle between the king of the elephants, a symbol that represents Tamerlane, and the king of the lions, a symbol representing the Muslim Arab ruler. The study also explains the technical details about the narrator and the addressed.

In chapter seven the study tackles the language and the style of the narrative, with the methods and the artistic tools used for the continuation of the narrative. Finally, the study concludes with a list of footnotes and references.

The Author:

Dr. Abdullah M. Al-Ghazali

Department of Arabic Language and Literature, Kuwait University

Main Publications:

1) Nihàyat al-Arab Fi Sharah Làmiyyat. Al-Arab - Lil - Shanfarà B. Màlik Al-Azdi by 'Atà' Àllàh B. Ahmad Al-Misry Al-Azhari. Study and review - Annals of The Facully of Arts. vol 12, Monogroph 74, 1991 - 92 Kuwait University.
2) "Azhàr Al 'Urúsh Fi Akhbàr Al-Hubush", by Jalal Al-Din Al-Suyúti. Study and review Publication of the Heritage, Manuscript, and Documents Center. Number 56, 1995, Kuwait.
3) Abú Bakr Al-Saqqàf wa Ta' iyatuhu, Journal of Arabic Momuschipts, Vol 40. - Al Arabiya. Part 2, Nov 1996, pp. 111-140. Cairo.
4) The black man in Abbasid legacy. Annals of the Arts and Social Sciences. Vol. xx. M. 138. 1999-2000. Kuwait University.

Monograph: 173

The Narrator and the Addressed in "The Caliphs' fruit & the banter of the Witty" By Ibn Arabshah (A Study in Chapter Seven)

Dr. Abdullah M. Al-Ghazali

Department of Arabic Language and Literature,

Kuwait University

Consultants

- **Prof. Ahmed Atman**
  (Department of Greek and Latin studies - Cairo University)
- **Prof. Ismail S. Mukalled**
  (Department of Political Sciences - Assiut University)
- **Prof. Jihan Rashti**
  (Department of Radio and Television - Cairo University)
- **Prof. Hayat N. Al-Hajji**
  (History Department - Kuwait University)
- **Prof. Abdul-Aziz Hammouda**
  (Department of English Language and literature - Cairo University)
- **Prof. Ezziddin Ismail**
  (Department of Arabic Language and literature - Ein Shams University)
- **Prof. Mohammed Gh. Al-Rumeihi**
  (Sociology Department - Kuwait University)
- **Prof. Mohammed M. I. Al-Deeb**
  (Geography Department - Ein Shams University)
- **Prof. Mahmoud Rajab**
  (Philosophy Department - Cairo University)
- **Prof. Mahmoud S. Abu Al-Neel**
  (Psychology Department - Ein Shams University)
- **Prof. Mahmoud F. Hijazi**
  (Department of Arabic Language and literature - Cairo University)

Editorial Board

Dr. Nassima R. A Gaith
Editor - in - Chief

- **Prof. Samir M. Hussein**
  (Mass Communication Department)
- **Dr. Abdul-Rida A. Asiri**
  (Department of Political Sciences)
- **Dr. Othman H. Al-Khodor**
  (Department of Psychology)
- **Dr. Fatima R. Al-Rajihi**
  (Department of Arabic Language and Literature)
- **Dr. Fahed A. Al-Nasser**
  (Sociology Department)
- **Dr. Faisal A. Al-Kanderi**
  (History Department)
- **Dr. Layla H. Al-Maleh**
  (Department of English Language and Literature)
- **Prof. Michael H. Mitias**
  (Philosophy Department)

- Editor: **Haifa'a H. AL-Meshari**

ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED ACADEMIC PERIODICAL THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Mass Communication Department.

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Sociology, Geography, Psychology, Political Sciences.

Volume XXII, 2001

ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A refereed scientific periodical that publishes monographs on topics relevant to the scientific concerns of the various departments in the faculties of arts and social sciences

The Narrator and the Addressed in "The Caliphs' Fruit & the Banter of The Witty" by Ibn Arabshah (A Study in Chapter Seven)

Dr. Abdullah M. Al-Ghazali
Department of Arabic Language and Literature,
Kuwait University

Monograph 173
Volume XXII

1421 - 1422
2000 - 2001

The Academic Publication Council
Kuwait University
Established in 1986

Faculty of Arts & Education Bulletin (1972-1979), Journal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974, Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship of Translation and Publication Committee 1976, Journal of Law 1977, Annals of the Faculty of Arts 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Educational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Medical Principles and Practices 1988, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.